رواية

الابنة فاتن

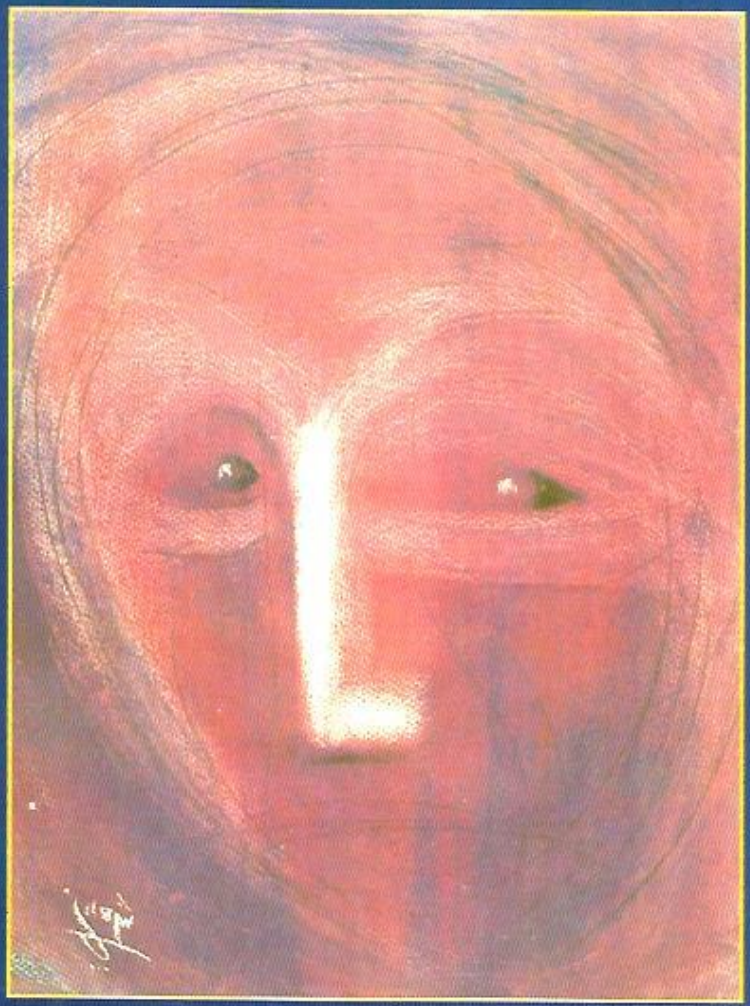

نعيم صبرى

fb/mashro3pdf

الابنة فاتن

fb/mashro3pdf

نعيم صبرى : الابنـة فاتن ـ روايـة

الغلاف : الفنان محمد الشربـينى

الحضارة للنشر

٧ شارع أبو السعود – الدقى ١٢٣١١ – القاهرة
تليفون ٣٦١٩٤٣٩ – تليفون وفاكس ٣٦٠٥٨٩٨
e-mail: hadara@ritsec1.com.eg

الطبعة الأولى – فبراير ١٩٩٩

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٠٤١ /١٩٩٩

I.S.B.N. 977-5429-15-3

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

fb/mashro3pdf

الابنة فاتن

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

(١)

ترقرقت دمعة عصية فى عينيها، سرعان ما انسالت على صفحة وجهها المرهق من تداخل المشاعر المضطربة، مالبثت أن انهمرت فى فيض غزير منتحب، وهى تقف قبالة جسده المسجّى أمامها على الفراش.

هما وحدهما الآن، فى الغرفة الفسيحة الخافتة الإضاءة، والتى تعبق برائحة الكولونيا، الممتزجة برَائحة الموت. نعم، رائحة الموت. هو الذى ملأ الدنيا حركة ونشاطاً واشتباكاً ونجاحاً وصراعاً منذ مطلع صباه، يرقد الآن فى سلام وسكينة أبدية، وقد أُحْكِمَ إغلاق فمه برباط أبيض، يلتف حول رأسه بصرامة، جاذباً فكه الأسفل عنوة، وهى تقف أمامه، بملابسها السوداء وأحاسيسها المشتتة المرتبكة. انفجرت فى نشيج حاد لاهث ملتاع، تلعنه ثائرة، وتلعن ماضيها الموحش، ثم مالبثت أن ارتمت على الفراش، محتضنة إياه وقد ألقت رأسها على صدره، وراحت فى بكاء هستيرى مرير.

تحتضنه للمرة الأولى منذ سنوات عديدة، بعد أن رفضته، وقاطعته، وأعرضت عن كل محاولاته للتودد والاقتراب. انفتح باب الغرفة بهدوء، أطل فريد أخوها من فرجة الباب، دخل بهدوء وتوجه نحوها، ربت عليها وتريث قليلاً قبل أن يبلغها بضرورة مغادرة الغرفة ومحاولة الهدوء، قبل بداية مراسيم تشييع الجنازة.

استسلمت فاتن ليد فريد الهادئة الحازمة، وتبعته إلى خارج الغرفة لترتمى على أحد الكراسى المصفوفة على عجالة بالصالة الخارجية، لاستقبال أفراد الأسرة المقربين، والذين قدموا للمشاركة فى تشييع الجنازة.

fb/mashro3pdf

بسم الله الرحمن الرحيم

«يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية
فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى»

صدق الله العظيم

توفى إلى رحمة الله تعالى

رجل الأعمال والاقتصادى الكبير

السيد

فـاروق سعـد الدين

نجل المرحوم الأستاذ عوض سعد الدين والمرحومة السيدة فتحية سلامة وزوج السيدة ملك عبد الهادى كريمة المرحوم المهندس عبد الهادى النجار ووالد المهندس فريد سعد الدين نائب رئيس مجلس إدارة مجموعة شركات فاروق سعد الدين والمحاسب فادى سعد الدين والآنسة فاتن سعد الدين وشقيق السيدة سعاد سعد الدين حرم رجل الأعمال صلاح بدران وابن شقيق المرحوم خليل سعد الدين والمرحوم نبيه سعد الدين وابن شقيقة الحاج ربيع سلامة التاجر بالموسكى وقريب ونسيب عائلات سعد الدين بيسيون وسلامة بطنطا والنجار ببنى سويف. وستشيع الجنازة من مسجد عمر مكرم اليوم عقب صلاة الظهر. والعزاء بمسجد عمر مكرم. تلغرافيا : سعد الدين — الزمالك

fb/mashro3pdf

(٣)

جلست وسط المعزين وهم يتداولون جريدة الأهرام لقراءة النعى المنشور بعد عودتهم من مقابر الأسرة بمدينة نصر. أخذت تنظر إلى صورته المعلقة على الحائط أمامها بنظرات متعبة وملامح متهدلة من فرط الإرهاق. رجل وسيم جذاب. يبتسم ابتسامة الواثق وينظر إلى البعيد. كالمكتفى، لا يشغله الآخرون فيتخطاهم وينظر نحو آفاق تتجاوزهم ولا تتصل بهم.

هل هذا هو أبوها الذى أنجبها سفاحاً بعد أن تزوج أمها ؟؟اجاً صورياً؟. هل كان يحبها حقاً؟. هل كان يُكفِّر عن ذنبه عندما أخذها من أمهاَ وتكفل بتربيتها لدى عمتها سعاد بالإسكندرية، بعيداً عنه وعن أمها وعن القاهرة جميعاً. ينفق عليها ولا يبخل. المال لديه موفور، لا يهم.

أخذت الأفكار تتزاحم برأسها، وشريط الذكريات يتداعى أمامها، منذ وعت على الحياة بمنزل عمتها سعاد بمحرم بك بالإسكندرية. نشأت فى شارع الإسكندرانى، تحت رعاية عمتها سعاد الأرملة، بعد وفاة زوجها المفاجئة قبل أن تبلغ الثلاثين من عمرها. بيت كان يملكه زوجها المرحوم سامى العلايلى، الذى كان يكبرها بخمسة عشر عاماً. كتبه باسمها بيعاً وشراء قبل وفاته بعامين من فرط تعلقه بها، وخشية أن يدخل أقاربه معها فى الميراث.

تاريخ طويل مرتبك، نشأت فيه بعيدا عن أمها عزيزة، وعن أبيها رجل الأعمال فاروق سعد الدين، المشغول بحياته وأعماله وأسفاره دائماً. ترى أمها مرة أو مرتين فى العام، ولا ترى أباها أحياناً لعدة أعوام. تزور إخوتها من أمها فى شقتهم المتواضعة بشارع الترعة البولاقية، ويستقبلها أخواها من أبيها فى منزلهم الفخم بشارع شجرة الدر بالزمالك.

(٤)

أيقظت الست فتحية زوجها عوض افندى، وهى تحملَ صينية الشاى له بعد نوم القيلولة المعتاد. تمطأ فى سريره ونهض بتكاسل ليشرب الشاى بالحليب، قبل أن

fb/mashro3pdf

يستعد لمغادرة المنزل متوجهاً إلى قهوة المالية بلاظوغلى، لقضاء المساء مع أصدقائه القدامى. عوض افندى يصر على الذهاب يومياً إلى حى السيدة زينب، حيث ولد ونشأ، وذلك لملاقاة أصدقائه، ولعب الطاولة التى يجيدها بشكل لافت للنظر. الأوين بقرش صاغ والمارس بقرشين. لم تستطع الست فتحية أن تقنعه بارتياد أحد مقاهى حى شبرا العديدة، بدلاً من تكبد مشقة الذهاب إلى السيدة زينب يومياً.

هو الحنين للمكان وللأصدقاء والاشتياق للذكرى وللتاريخ المنصرم. يبدأ الشعور بالانتشاء والفرحة عندما يعبر ترام ٣٠ ميدان قصر النيل، متجهاً إلى ميدان باب اللوق، وقاصداً ميدان لاظوغلي. تسرى إلى أنفه رائحة الطفولة والحى والأهل والأصدقاء، نعم .. فللتاريخ رائحة وصدى أيضاً بوجداننا .. يسمع أصداء أغنيات عبد الوهاب القديمة، وألحان الشيخ زكريا أحمد، يدندن بصوت خفيض:

يا حلاوة الدنيا يا حلاوة، ياحلاولو ... ياحلاوة

يدندن دائماً بأغنياته المفضلة عندما يغادر الترام ميدان قصر النيل، فيتمايل طرباً وهو يجلس بجوار النافذة، فى الترام المنطلق إلى ذكرياته الحميمة.

(٥)

غادر عوض افندى الترام بمحطة أول شبرا. عبر الطريق وتوجه إلى شارع جزيرة بدران قاصدا منزله.

دخل الأستاذ عوض إلى البيت والساعة قد جاوزت الحادية عشرة بقليل. كان الضوء ينبعث من فرجة باب غرفة فاروق، وسط الظلام السائد فى أرجاء البيت. اقترب من الغرفة وفتح الباب بهدوء. كان فاروق مستغرقاً فى استذكار دروسه على مكتبه الصغير بركن الغرفة. انتبه لمقدم والده فقام إليه لتحيته. استفسر عوض افندى عن أحوال ابنه الدراسية وانسحب من الغرفة بعد أن تمنى له التوفيق والنجاح.

فاروق يدرس بكلية التجارة بالسنة الثالثة. تلميذ منتظم، ليس متفوقا فى دراسته ولكنه ينجح بانتظام.

fb/mashro3pdf

انتظر فاروق قليلاً حتى خمدت الحركة فى البيت تماما. والده هو آخر من ينام من أفراد الأسرة الصغيرة. هو وأمه وأبوه فقط فى الشقة المكونة من أربع غرف تتوسطهم صالة، تتفرع منها طرقة طويلة، فى نهايتها المطبخ والحمام ودورة المياه.

هم بمفردهم الآن، بعد زواج سعاد أخته ورحيلها إلى الإسكندرية، لتقيم مع زوجها هناك قبل عامين.

نهض بهدوء وفتح الباب بحذر، تنصَّتَ برهة ليطمئن لنوم والديه ثم عاد إلى مكتبه. فتح الدرج الأسفل وفتش بين الأوراق، أخرج الصور المدسوسة بعناية، والتى يحتفظ بها لنسائه المفضلات، مارلين مونرو بنظراتها الناعمة، سامية جمال وابتسامتها الشقية، چين مانسفيلد وصدرها المتفجر وأخيراً بريچيت باردو بشفتيها المكتنزتين.

بعد تفكير قليل، سحب صورة چين مانسفيلد مع تصاعد دقات قلبه، چين مانسفيلد هى المرأة المفضلة لديه غالباً، صورة لها بفستان يكشف عن معظم ثدييها، وهى تنظر بجانب عينيها نظرة ساخنة مفعمة بالنداء. تَسَحَّب فى الصالة متجهاً إلى دورة المياه. خلع ملابسه تماماً وأمسك بالصورة بيده اليسرى، هو وچين مانسفيلد فى منزل صيفى على شاطئ البحر. يجلسان معاً فى الشرفة المقابلة للبحر، تنهض لتحضر المشروب ثم تعود إليه. تقدم له كأسه ثم ترفع كأسها وهى تغمز له بعينها وتنظر إليه نظرة عميقة ذات مغزى. يقوم إليها بهدوء الواثق ثم يحتضنها بقوة. تتأوه بين يديه وتفقد تماسكها فيسقط الكأس من يدها، يقدم لها كأسه لترتشف منه وهو يسحبها من يدها برفق إلى الداخل ويدلفان إلى غرفة النوم. يضع كأسه على الكومودينو ويبدأ فى فك أزرار فستانها ببطء وهو يقبلها قبلة حارة. يقوم بخلع ملابسها بتؤدة وهى تتأوه بين يديه. تجذبه فجأة إليها وتتمدد على الفراش وهى تحتضنه بقوة. يستغرقان معاً فى لحظات متوترة لا يستطيع أن يتخيلها بدقة ترضيه. ينتهى من ممارسة العادة السرية كما اعتاد كل ليلة بعد هدوء الحركة بالبيت، ويعود إلى غرفته وهو يشعر ببعض الإرهاق وكثير من الإحباط.

حرمان بشع، يعيشه وهو فى العشرين من عمره. لا يستطيع التخلص من التفكير

fb/mashro3pdf

فى المرأة طيلة الوقت، لا يستطيع التخلص من التفكير فى الجنس. أحياناً يمارس العادة السرية أكثر من مرة فى اليوم الواحد ... مع ذلك لا يحس بالإشباع. لا يدرى ماذا يفعل؟. يستيقظ من نومه أحياناً وقد بلل نفسه فيشعر بالقرف الشديد وينهض سريعاً لتغيير ملابسه.

يقولون إن الشباب فى أوربا وأمريكا يبدءون فى ممارسة حياتهم الجنسية الطبيعية منذ بلوغهم سن المراهقة. يتعارفون ويخرجون معا. يذهبون إلى الديسكو معاً. يرقصون ويتحابون ويمارسون الجنس عندما يرغبون. كل ما يحتاجونه هو أن يحتاطوا للإنجاب. يقولون إن وسائل منع الحمل متوفرة فى كل مكان. سمع من صديقه سامح الطالب بكلية الهندسة، والذى سافر فى الصيف الماضى للتدريب بألمانيا، أنهم يضعون ماكينات بيع العوازل الطبية فى دورات المياه العمومية، تضع العملة المعدنية فينزل إليك العازل. قال له إن المرء يحتاط دائماً للمفاجآت السعيدة فيحتفظ بعوازل احتياطية للطوارئ فى جيبه ... لعل وعسى.

(٦)

يوم الجمعة، يوم الاستيقاظ على الراحة. يوم التقاط الأنفاس والخلاص من الدراسة والكلية وازدحام المواصلات.

استيقظ فاروق والساعة تقترب من العاشرة. تمطأ فى فراشه وهو يستمتع بالكسل وفراغ البال. نهض من الفراش وخرج ليغتسل فقابل أمه الست فتحية خارجة من المطبخ، قالت له وهى تحمل بعض الأطباق فى يديها:

– هيا أسرع، الإفطار جاهز.

أجابها مراوغاً:

– صباح الفل يا ست الكل.

– صباح الخير.

– خمس دقائق وألحق بكما.

fb/mashro3pdf

انضم إلى أبويه اللذين بدءا إفطارهما قبله بقليل. مائدة إفطار يوم الجمعة عامرة بالأطباق. بيض مقلى وفول بالزيت، قشدة ومربى وعسل نحل، جبن وفطير مقلى بالزيت تتقن الست فتحية عمله وتحضره لهم طازجاً قبل الإفطار.

إفطار الجمعة هو المناسبة الوحيدة التى يلتئم فيها شمل الأسرة على الطعام طيلة الأسبوع. عادة ما يكون فاروق خارج البيت فى مواقيت الطعام. ما بين الكلية وتجميع طلبات المحلات أو المرور لتحصيل ثمن البضاعة.

عقد فاروق اتفاقاً مع خاله الحاج ربيع سلامة، على أن يحتفظ بالمحلات الكبرى فقط وقت الدراسة أثناء العام الدراسى، حتى يستطيع متابعتها دون عناء كبير يعوقه عن متابعة الدراسة بانتظام. فى فترة الإجازة الصيفية، كان الوقت يسمح له بمتابعة عدد أكبر من المحلات. الحاج ربيع سلامة تاجر لعب أطفال جملة بالموسكى وفاروق يعمل معه منذ دخوله الجامعة. فكر فى وسيلة يتكسب منها فاتفق مع خاله على أن يساعده فى بداية نشاطه، بإعطائه بضاعة كأمانة، يقوم بتوزيعها على محلات لعب الأطفال المنتشرة بأحياء القاهرة، ثم يسدد ثمنها لخاله بعد تحصيل قيمة الفواتير من العملاء. بعد أن ناقشه خاله فى نوعية العملاء الذين ينوى التعامل معهم، نصحة بالتعامل مع بعضهم من ذوى السمعة الحسنة، وحذره من التعامل مع البعض الآخر. تعهد له فاروق بأنه لن يتعامل مع أى محل قبل الاستعلام الدقيق عنه، واستشارة الحاج ربيع على الدوام والاستفادة بخبرته الطويلة فى السوق.

بدأ فاروق أولى خطواته فى عالم التجارة بمعاونة بسيطة من خاله الحاج ربيع سلامة. كان يمر على المحلات لأخذ طلباتهم من اللعب وتجميعها، يقوم بعدها بالاتفاق مع سيارة نقل صغيرة، يحمل عليها كل طلباته من مخازن الحاج ربيع ليوزعها على العملاء فى دورة واحدة. كان بارعاً فى إقناع السائق بتحميل العربة بأكثر من حمولتها حتى يقلل من تكاليف النقل. حقق فاروق ربحاً طيبا من عمله بالتجارة مع خاله. الحاج ربيع يحب فاروق ويكبر فيه طموحه وحيويته. يتمنى أن يكون من نصيب محاسن ابنته الوحيدة حتى يطمئن على مستقبلها، وعلى استقرار تجارته فى المستقبل، مع رجل طموح مثل فاروق، يمتلك حيوية الشباب وشطارة

fb/mashro3pdf

التجار. الحاجة زكية زوجته تدعو الله فى صلواتها، أن يكون فاروق من نصيب محاسن. تهتم به اهتماماً ملحوظاً عند زيارته لهم وتحلف أغلظ الأيمان بأن يشاركهم الطعام. الغداء إن كان الوقت ظهراً أو العشاء لو زارهم فى المساء. كان يمر على الحاج ربيع كثيرا بالمنزل إذا لم يجده فى المحل، وذلك للاتفاق معه على أمور العمل. يحب أن ينتهى من كل أمر فى وقته ولا يطيق أن يؤجله لليوم التالى.

(٧)

الجمعة بعد الظهر موعد خروج منى وهالة. فى تمام الخامسة، تنزلان من البيت المقابل، على الناحية الأخرى من الطريق، تنظران تجاه فاروق وعمار الواقفين على الطوار المقابل فى انتظارهما، ثم تتجهان إلى محطة الترام بشارع شبرا. تقفان فى انتظار ترام ٢١ المتجه إلى العباسية عبر حى الظاهر. تنزلان بشارع كامل صدقى بالفجالة، شارع المكتبات المتجاورة على جانبى الطريق، والذى سيصبح فيما بعد، شارع الأدوات الصحية، تدخلان إلى أحد البيوت العتيقة حيث تقطن جدتهما.

عندما شارفت الساعة على الخامسة، خرج فاروق إلى الشرفة وأطلق صفارته الخاصة، التى اعتاد أن ينادى بها عمار جاره وصديقه. عمار يسكن فى الشقة المقابلة لفاروق بالعمارة المجاورة.

عمار طالب بكلية الحقوق، يعيش بمفرده مع والدته المسنة بعد وفاة أبيه وزواج إخوته، يكبر فاروق بثلاثة أعوام، تأخر فى دراسته لتكرار رسوبه. هو آخر العنقود بعد أربعة من الأخوات والإخوة.

خرج عمار إلى الشرفة وهو يكمل ارتداء ملابسه ليرد على صديقه:

– خمس دقائق وسأكون جاهزاً.

– سأنتظرك بالشارع.

وقف الصديقان ينتظران منى وهالة. تبعاهما كالعادة إلى محطة الترام. وقفا بجوارهما يستمتعان بدفئهما المشع، وهما ينتظران قدوم ترام ٢١.

لمحا بهاء أخاهما قادماً فارتبكا وتوجها فى تحرك تلقائى إلى أجزخانة زاريه المواجهة

fb/mashro3pdf

لمحطة الترام. دخلا دون أن يدريا ماذا يقولان للصيدلى، تصرف فاروق بسرعة بديهته المعتادة وطلب أسبرين ريفو.

وقف عمار يراقب الموقف. تحدث بهاء مع أختيه قليلا ثم تركهما ومضى عائدا إلى البيت.

وصل ترام ٢١ عندما كان فاروق وعمار يغادران الأجزخانة، ركبوا جميعاً ووقفوا متجاورين. عندما ابتعد الترام عن المحطة بمسافة كافية، بدأ فاروق الحديث مع هالة:

– لا تتأخرا عند تيته.

– ساعة تقريباً.

تفكر فاروق قليلاً قبل أن يقول لها:

– حاولا أن تسرعا بالنزول، نحن نتعب من الوقوف بالشارع. نزلتا فى المحطة المواجهة لبيت جدتهما. تمشّى فاروق وعمار على الرصيف المقابل حتى ميدان محطة مصر ثم عادا إلى حيث بدءا. وقفا قليلاً يراقبان شرفة الجدة بالطابق الثانى. كانت هالة ومنى تخرجان إلى الشرفة بالتناوب، تنظران ناحيتهما ثم تدخلان مرة أخرى. عندما يحل القلق بفاروق، كان ينظر إلى ساعته عندما تخرج صديقته هالة إلى الشرفة، معرباً عن نفاد صبره. نزلتا أخيرا وتوجهتا إلى محطة الترام العائد إلى شبرا. وقف فاروق وعمار على مسافة قريبة منهما، حتى إذا أقبل الترام، ركبوا جميعاً وهم يتعجلون وصول الترام إلى آخر شبرا، حيث اعتادوا التجول هناك فى منطقة أرض أغاخان الهادئة، والتى مازلت بكراً لم يغزها الازدحام بعد. يسيرون فى شوارع المنطقة الخالية، فاروق وهالة معا، يتبعهما على مسافة منهما عمار ومنى، يحتويهم الظلام والرجاء جميعاً، يضع فاروق بجرأته المعتادة ساعده على كتف هالة التى تتخلص منه بدلال فى البداية، سرعان ما يتلاشى تمنُّعها فتستسلم لحضنه المتلهف. يروح الجميع فى حالة من الانسجام العذرى والهيام الهامس، لا يقطعها إلا صياح الصبية العابثين الآتين من البعد:

– «سيب النعجة يا خاروف»

fb/mashro3pdf

ينتبهون جميعاً فى ارتباك وتوجس فيسيرون فى تحفظ.
يبدءون فى الموعد المناسب فى الاتجاه صوب محطة الترام للعودة.

(٨)

عم توفيق المزين رجل ودود قليل الكلام. محل عم توفيق يقع بالبيت المجاور لبيت فاروق. صالون حلاقة متواضع يحتوى على كرسيين للحلاقة ويساعده فيه صبيه مسعد، الذى شرب الصنعة على يدى عم توفيق.

الناس في شارع الجزيرة، كما يحلو لسكانه أن يطلقوا عليه، أسرة متداخلة يعرف بعضها البعض. الفقير ومتيسر الحال، الصغير والكبير. للصغير الجميع أعمام، وللكبير الجميع أبناء. عم توفيق المزين، عم وليم الصائغ، عم رشدى صاحب محل السجاير والحلويات وعم عثمان البواب. دفء نادر يحل بالناس والمكان. يجتمع جيران المحال المتجاورة معاً، لتناول وجبتى الإفطار والغداء اللتين لا يستطيع التجار الذين يسعون لأكل العيش طوال النهار، أقول لا يستطيعون الاستمتاع بهما فى منازلهم. يجتمعون ليستدفئوا ببعضهم البعض، فى عشرة صافية بسيطة لا يشوبها أى تكلف، لا يمنع هذا بطبيعة الأحوال، من أن يتخللها بعض الزعل أحياناً، لكنه سرعان ما يتلاشى وينحسر بسلاسة مذهلة.

تحلق عم توفيق وعم رشدى وعم وليم حول الطاولة الصغيرة، التى صنعها لهم عم جمعة النجار خصيصا ليسهل حملها إلى المكان الذى يشاءون الاجتماع فيه، تجمعوا بمحل وليم الصائغ على طعام الإفطار. كان وليم لا يفضل ترك محله كثيرا لصبيه وابن أخيه ملاك، «أولاد الحرام كتير» كما يحلو له أن يردد دائماً. أرسلوا لشراء الفول والطعمية من محل عطية بشارع سمعان، ذلك الشارع الذى أطلق عليه اسم سمعان صيدناوى، لوجود مخازن محلات صيدناوى به. فول وطعمية وبصل، والحلو عسل وطحينة من عم راغب البقال. إفطارهم المعهود المتكرر الذى لا يفقد طيب مطعمه على الدوام.

fb/mashro3pdf

قام وليم لعمل الشاى، خلف الحاجز الخشبى الصغير الذى يضع فيه لوازمه من شاى وبن وسكر. شكل بهذا الحاجز مطبخاً صغيراً له، يستر فيه أشياءه المنزلية عن زبائن المحل.

بادرهم عم توفيق المزين قائلا وهم يرتشفون الشاى باستمتاع:

– الغداء اليوم عندى. أعدت لنا عزيزة كشرى.

علق رشدى متعجباً من المصادفة:

– الله .. تصور، طلبت أمس كشرى من أم أنيس. بنت حلال يا عزيزة.

تحسر وليم الصائغ وهو يتذكر مصيبة عزيزة وطلاقها من زوجها .

– مسكينة عزيزة ... مال بختها وهى مازالت شابة صغيرة.

قال رشدى غاضباً:

– الكلب محمود، عاشت معه ست سنوات فى عذاب، ضرب وقلة أدب. لم يكن يمر شهر دون أن تعود غاضبة لبيت أبيها.

أطرق الأسطى توفيق ساهماً وهو يتذكر همومه بسبب فشل عزيزة فى زواجها وطلاقها من محمود الكهربائى زوجها. طلقها وأهمل طفليه، فاطمة ذات الأعوام الخمسة، وعلى الذى يصغرها بعامين، بعد أن تزوج جارته المطلقة التى تسكن أمام ورشته بمعروف.

قطع وليم الصمت وهو يقول:

– امرأة لبوة. شاغلته حتى أوقعته وخربت بيته.

ربنا يعوضها بأحسن منه يا توفيق. اليوم سيلعب الأهلى مع الترسانة، أليس كذلك؟

حاول وليم أن يغير الحديث شفقة بصديقه وجاره توفيق المزين. كان وليم بمثابة العقل المدبر لهم بشخصيته الحازمة وقلبه الطيب مثلهم أجمعين.

(٩)

استيقظ فاروق متأخراً، فاليوم هو الأربعاء ولا توجد لديه محاضرات بالكلية صباحاً. أول محاضرة تبدأ فى الثانية بعد الظهر. نهض من فراشه متكاسلاً، فتح باب

fb/mashro3pdf

غرفته ونادى:

– ماما ... الشاى لو سمحت.

عاد وجلس على الكنبة بعد أن فتح النافذة. عم ضوء النهار الغرفة وجاء إليه صوت عبد الوهاب من مذياع المقهى المجاورة وهو يغنى «يا وابور قل لى رايح على فين» فانسجم لهذا الصباح الرائق وأخذ يدندن معه:

«عمال تجرى قبلى وبحرى تنزل وادى تطلع كوبرى ... حود مرة وبعدين ... دوغرى ... ياوابور ... ما تقول ... رايح على فين». تطلّع فاروق إلى صفحة السماء الصافية التى تبدو أمامه من النافذة المجاورة له وسرح بفكره. ترى ... إلى أين سيحمله وابور المستقبل؟... أين سيحط الرحال فى السنوات القادمة بعد تخرجه؟. هو الآن فى السنة الثالثة والامتحان بعد شهرين تقريباً. يعقب الامتحان إجازة الصيف الأخيرة له كطالب، يبدأ بعدها السنة النهائية بكلية التجارة ثم التخرج ومواجهة الدنيا بطموحه الذى يتأجج داخله. لقد ادخر مبلغاً لا بأس به من عمله مع خاله بالتجارة.

لا يمكن أن يفكر فى وظيفة ... «طظ فى الميرى وترابه» ... سيحاول فى الإجازة القادمة أن يكسب مبلغاً محترماً يزيد رأسماله الصغير، حتى يستطيع أن يبدأ عملاً تجارياً برأسمال معقول. «الفلوس تجيب فلوس» ... طبعاً..

شرب الشاى ثم قام ليغتسل ويستعد للخروج. هو يريد أن يمر على خاله الحاج ربيع بالموسكى ليحاسبه على البضاعة قبل أن يذهب إلى الكلية. تذكر أنه يريد أيضاً أن يحلق شعره اليوم. لقد أجل الحلاقة منذ أكثر من أسبوعين لانشغاله الشديد حتى أصبح شعره لا يطاق. ارتدى ملابسه مسرعاً بعد أن دب النشاط فيه بمجرد أن بدأ ذهنه في العمل. تلفت يبحث عن والدته الست فتحية ليودعها قبل انصرافه. وجدها تجلس منكبّة على ماكينة الخياطة بغرفة القعاد. نبهها قائلا:

– أنا نازل يا ماما ... سلام.

– مع السلامة يا حبيبى. خد بالك من نفسك.

قابل فاروق مسعد الحلاق أمام محل عم توفيق وهو ينشر الفوط على المنشر، بادره بالتحية وهو يقبل عليه:

fb/mashro3pdf

– صباح الخير يا مسعد.

– صباح النور ياسى فاروق. هل ستحلق اليوم؟

– لا يمكن التأجيل أكثر من ذلك.

دخل إلى محل عم توفيق فوجده جالساً يتصفح الأهرام. ألقى عليه التحية وهو يمازحه:

– صباح الخير يا عم توفيق ... هل وجدت شيئا بالجورنال؟

أجابه عم توفيق على الفور بحماس:

– الأخبار كلها عن الوحدة ... الواحد اشتاق لزيارة سوريا من كثرة ما يكتب عنها.

«سوريا؟... فكرة حلوة ... السوريون تجار شطار ... يمكن أن تكون الوحدة قد تمت من أجلك ... أسافر إلى سوريا لدراسة فرص الشغل هناك ... أو نتاجر بين مصر وسوريا ... الانتقال الآن أكثر سهولة بين البلدين ... يارب».

برقت الفكرة داخل ذهنه المهموم بالتفكير فيما بعد التخرج، لقد تجاوز الحاضر الآن، الحاضر مفروغ أمره، هو يثب بفكره دائماً شهوراً، بل سنوات إلى الأمام. يعيش فى الحاضر بجسده وتهيم روحه إلى المستقبل القريب والبعيد.

شرع عم توفيق فى قص شعره وهو يبحر بأفكاره فى مجاهل الزمن. انتبه لعم توفيق وهو يقول له:

– كنت أنتوى زيارة الست الوالدة. أريد الحديث معها فى موضوع.

– خير يا عم توفيق. البيت بيتك طبعاً، تفضل فى أى وقت.

– أريد أن أستشيرها فى إمكانية تعليم ابنتى عزيزة الخياطة. الحمل ثقيل والأولاد مصاريفهم كثيرة.

– فكرة ممتازة يا عم توفيق.. على الأقل لكى تسهم معك فى المصاريف.

– سأسأل الوالد عند عودته من الشغل عن الموعد المناسب.

أكمل حلاقة شعره ثم ودع عم توفيق وغادر مسرعاً قاصداً محل خاله الحاج ربيع بالموسكى.

fb/mashro3pdf

(١٠)

رحبت الست فتحية بإيجابيتها المعتادة، بتعليم عزيزة الخياطة. الست فتحية محبوبة من الجيران، وخدوم. تقوم بتفصيل الملابس للجميع، وتريحهم فى الدفع. خياطة ماهرة، تجيد تفصيل فساتين الخروج من الأقمشة الفخمة. ست طيبة، تقوم أيضاً بحل مشاكلهم المالية عن طريق تنظيم جمعيات للادخار. ترتب أولويات قبض الجمعية تبعاً لحاجة المشتركين. المزنوق يقبض أولاً والمستريح ينتظر دوره لاحقا. ذلك التكافل الاجتماعى المصرى الخالد الذى يظلل الناس بمظلة الرعاية والأمان.

فاروق كان زبوناً دائماً فى جمعيات والدته الست فتحية، كان يشارك بأكثر من اسم ويريحهم بانتظاره حتى آخر الجمعية للقبض. هو يشارك للادخار والستات تشارك للمساهمة فى تدبير المعايش ومساعدة الأزواج، خاصة فى مواسم المدارس واحتياج الأولاد لكسوة المدارس والمصروفات المدرسية.

خرج عم توفيق ممتناً للست فتحية على قبولها تعليم عزيزة ابنته التفصيل. تمنى وهو ينزل سلم بيت الست فتحية أن تتفوق عزيزة فى تعلم التفصيل وشرب الصنعة من الست فتحية الأميرة ... يارب تجبر بخاطرها وتأخذ بيدها وتعوضها عن ميلة البخت ومسئولية الأولاد ... قادر يا كريم.

(١١)

عزيزة بنت طيبة كأبيها. جذابة على الرغم من أنفها العريض وحب الشباب المنتشر على صفحة وجهها. سمراء البشرة، مكتنزة الشفتين، تنبعث جاذبيتها من روحها المرحة. بعد عودتها للإقامة مع أبيها هى وطفليها وطلاقها من محمود، بدأت فى استرداد عافيتها ونضارتها اللتين فقدتهما من جراء الحياة التعسة التى عاشتها والمعاناة الدائمة. امتلأت قليلاً بعد نحافة المعاناة والقلق، واستدار قدها فأضفى عليها مزيدا من الجاذبية.

طارت عزيزة من الفرحة عندما أبلغها عم توفيق بقبول الست فتحية تعليمها

fb/mashro3pdf

التفصيل. «ربنا يخليها ويبارك لها» .. كانت تتعجل ابتداء الدروس فسألت أباها:

– هل أبلغتك متى سأبدأ؟

– اصبرى يا عزيزة ... الست وافقت ولم نتكلم فى المواعيد.

كانت عزيزة تتحرق شوقاً لبداية دروس التفصيل سريعاً فقالت لأبيها:

– سأذهب إليها غداً لأسألها.

عزيزة لم تذهب إلى المدرسة ولم تتعلم. لا تفك الخط. بدأت تشعر بالفراغ والوحدة بعد طلاقها من محمود وفراغها من صراعاتها الدائمة معه. بختها مال ومعها عيلان، أبوها، ربنا يعطيه طول العمر، ماذا ستفعل فى مواجهة الحياة بعد عمر طويل. بدأت فى التفكير فى الزمن والمسئولية. تمنت أن تتعلم صنعة تؤمّن بها مستقبل العيال. «ستفرج بإذن الله» تمتمت وهى تذهب إلى المطبخ لتحضير العشاء لأبيها. سحبت السبرتاية وصبت قليلا من السبرتو فى ولاعة الوابور البريموس. لم تستطع التركيز من فرط الانتشاء وأخذت تبحث طويلاً عن براد الشاى. انتبهت إلى أنها لم توقد الوابور. سحبت قصاصة ورق من الكوب الذى تحتفظ فيه بالقصاصات، وأشعلتها من اللمبة السهارى. قربتها إلى السبرتو فالتقط النار، تركته يحمّى بيت النار وذهبت لإحضار براد الشاى الذى تذكرت أنها أخذته معها إلى غرفتها بعد الظهر.

عادت وأشعلت الوابور جيداً بعد أن سلكته بالسلاكة. ملأت البراد بالماء ورفعته على النار.

تناول عم توفيق عشاءه مع ابنته عزيزة راضيا ... «بامية زى العسل» ... أعدتها عزيزة مع أرز مفلفل. أكلا وحمدا وشربا الشاى ثم توجه كل إلى فراشه راضيا بالستر ومرور اليوم على خير.

(١٢)

ارتدت عزيزة ملابسها بعد خروج عم توفيق صباحاً، كانت تتحرق شوقا للذهاب إلى الست فتحية ومعرفة موعد بداية دروس التفصيل معها. خرجت من بيتها بشارع

fb/mashro3pdf

زنانيرى واتجهت إلى شارع الزهور، انحرفت يساراً فى اتجاه شارع جزيرة بدران قاصدة منزل الست أم فاروق. صعدت درجات السلم بسرعة وقلبها يدق من الفرحة والترقب. ضغطت جرس الباب ضغطة خاطفة متوجسة.

– صباح الخير يا ست فتحية.

– صباح النور يا عزيزة ... أهلاً ... تفضلى.

دخلت عزيزة خلفها إلى غرفة القعاد حيث الماكينة وركن الخياطة. بادرتها الست فتحية قائلة وهما يهمان بالجلوس:

– أبوكِ فاتحنى فى موضوع تعليمك الخياطة.

– ربنا يخليكِ يا ست أم فاروق.

– متى تريدين أن تبدئي؟

– الودّ ودّى الآن.

– سأنهى الشغل الذى فى يدى ونبدأ يوم الأحد إن شاء الله. استأذنت عزيزة الست فتحية فى الانصراف بعد أن شكرتها ونزلت السلم قفزاً من الفرحة متوجهة إلى صالون عم توفيق، لتزف إليه بشرى اتفاقها مع الست فتحية على بداية انتظامها معها فى تعلم الخياطة الأسبوع القادم.

(١٣)

حَضَّرت عزيزة الشاى لعم توفيق وأيقظته فى موعده ليستعد للخروج إلى المحل. عم توفيق يغير ريقه بكوب شاى بالحليب فقط ويتناول إفطاره بالمحل مع الموجودين من الجيران والحبايب. اليوم الأحد، موعد بداية دروس التفصيل مع الست فتحية وهى تنتظر مغادرة والدها بفروغ صبر لتنطلق إلى الست فتحية.

بعد خروج عم توفيق، ارتدت ملابسها مسرعة وطرقت باب الست عنايات جارتها لتترك معها فاطمة وعلياً لحين عودتها.

الست عنايات أرملة تجاوزت الخمسين، تعيش بمفردها بعد وفاة زوجها الأستاذ

fb/mashro3pdf

سيد، الموظف السابق بمصلحة السكك الحديدية، تجمعها بعزيزة وعم توفيق عشرة طيبة. تحب عزيزة كابنتها تماماً وتأنس لصحبتها. لم يرزقها الله بالخلف فاتخذت عزيزة ابنة لها.

غادرت عزيزة البيت وهى مفعمة بالأمل والرجاء، لم يحمل قلبها ضغينة لأحد، حتى فى أحلك أيام معاناتها مع طليقها محمود. تنسى الإساءة سريعاً وتقبل على الحياة.

أسرعت الخطو متجهة إلى منزل الست فتحية بشارع جزيرة بدران. انحرفت يساراً بشارع الزهور، سارت قليلا حتى وصلت إلى شارع الجزيرة ثم عبرت الطريق إلى المنزل. قفزت درجات السلم فى اتجاهها لشقة الست فتحية. أصلحت هندامها قبل أن تضغط على جرس الباب وقلبها يتدفق بالنبضات. فتح لها فاروق الباب، رحب بها وأدخلها إلى غرفة القعاد. كان يتأهب لمغادرة المنزل فنادى على والدته التى كانت بالمطبخ وأخبرها بقدوم عزيزة.

جلست عزيزة تنتظر قدوم الست فتحية وهى من الاضطراب فى غاية. أخيرا حانت اللحظة التى انتظرتها بصبر نافد. شعرت أنها ستضع أقدامها أخيراً على أرض ثابتة. ستتعلم حرفة يمكن أن تتكسب منها فى المستقبل لتعيش مستورة. مرت اللحظات بطيئة فى انتظار الست فتحية التى هلت أخيرا باشة مرحبة.

(١٤)

انتظمت عزيزة فى دروس التفصيل وتقدمت فيها بسرعة وهمّة. بدأت الست فتحية تعتمد عليها فى تجهيز الكثير من الشغل المطلوب. اتقنت عزيزة عملها فأراحت الست فتحية كثيراً وبدأت تخصص لها أجراً رمزياً كنصيب لها مما تحصل عليه من الزبائن. أول مبلغ حصلت عليه من عرقها كان جنيهاً كاملاً. لم تسعها الفرحة وانطلقت إلى دكان أبيها تفرحه بالخبر. ابتسم عم توفيق وهو يربت عليها قائلاً:

– ربنا يوسع رزقك يا بنتى ويعوضك بكل خير.

fb/mashro3pdf

مرت عزيزة على عم راغب البقال فاشترت بعض لوازمها، لمحت الحلاوة الطحينية فتذكرت فاطمة التى تعشقها، اشترت لها حلاوة طحينية بالمكسرات واشترت لعلى عسلية من عم رشدى. لم تنس الست عنايات واشترت لها علبة سجاير كوتاريللى. عادت مسرعة إلى البيت وهى تقفز من الفرحة. طرقت باب الست عنايات ودخلت لتشرب الشاى معها وتحكى لها عن فرحتها بأول مكسب لها. قبلتها الست عنايات وشكرتها على علبة السجاير التى جاءت فى موعدها، فقد كانت خرمانة على الآخر. تركتها مع الأولاد ودخلت إلى المطبخ لتعد الشاى. سرعان ما عادت بالصينية وعليها كوبا الشاى. جلستا تتبادلان الحديث فى دعة وراحة بال. أخذت عزيزة تحكى للست عنايات فى سعادة وتوثب عن فرحتها بأول مكسب لها من عملها مع الست فتحية التى بدأت تعتمد عليها كثيراً فى ترتيب وإنجاز الشغل.

(١٥)

أنهى فاروق امتحانات آخر العام بعد أن بذل مجهوداً مكثفاً فى الدراسة والاستذكار متطلعاً للنجاح والانتقال إلى السنة النهائية بالكلية.

فى خضم الاستعداد للامتحانات، وبعد انتهاء الدراسة بالكلية، زادت فترات مكوثه بالمنزل ولم يعد يغادره إلا قليلاً. كانت عزيزة تأتى يومياً لعملها مع والدته، وكثيراً ما كانت تعد له الشاى وتدخله له وهو منهمك فى استذكاره. نمت الألفة بينهما تدريجياً وبدأ ينتبه إلى أنوثتها التى ازدادت نضارة مع سعادتها بحياتها الجديدة وازدياد اهتمامها بزينتها.

لاحظ فاروق مع مرور الوقت، أنه بدأ تدريجياً يستبدلها بصور چين مانسفيلد وبريچيت باردو فى خلواته الليلية بدورة المياه. بدأ يستغنى عن الصور الصماء ويجمع بخياله فى تفاصيل جسدها، التى يراجعها كل يوم، أثناء تحركها بالمنزل، أو عندما تدخل إليه الغرفة بالشاى، حتى حفظها عن ظهر قلب. تفاصيل ملامحها، حب الشباب المنتشر على صفحة وجهها، أنفها العريض، شفتاها المكتنزتان، استدارة نهديها

fb/mashro3pdf

وحركة أردافها. وضع كفه على كفها ذات مرة وهى تضع كوب الشاى له على المكتب فشعر بحرارتها الأنثوية قبل أن تسحبها خجلى وتغادر الغرفة، وقد اصطبغ وجهها بحمرة الخجل.

يستدعيها كل ليلة إلى خياله. يحتضنها ويخلع عنها ثيابها، يروحان معاً فى تلاحم رهيب، مرة بغرفته وأخرى بغرفة القعاد، ثالثة على أرضية الصالة. تجوّل بها فى خياله فى كل أرجاء المنزل مستغنياً عن صوره الملونة لچين مانسفيلد ومارلين مونرو وبريچيت باردو وسامية جمال وغيرهن، فى كل مرة يزداد اشتعالا ويقترب من الجنون، يرغب فى احتوائها بين ذراعيه فى الحقيقة والفتك بها هياماً وشهوة والتحاماً.

(١٦)

ذهبت الست فتحية إلى الموسكى لشراء بعض لوازم الخياطة. كان فاروق لا يزال نائماً فى غرفته. الإجازة الصيفية قد بدأت وهو لا يستيقظ قبل الحادية عشرة. تمطأ فى سريره وتيقظ على صوت الراديو المنبعث من المقهى المقابلة لمنزلهم. نهض فى تكاسل وخرج من غرفته يبحث عن والدته لتعد له الشاى. توجه إلى غرفة القعاد فوجد عزيزة تجلس بمفردها منهمكة فى عملها. رفعت رأسها ونظرت إليه باسمة:

– صباح الخير.

– صباح النور يا عزيزة، أين ماما؟

– ذهبت إلى الموسكى لشراء بعض اللوازم. سأُحَضِّر لك الشاى حالاً.

قالتها وهى تنهض متجهة إلى المطبخ لتحضير الشاى لفاروق. عاد فاروق متكاسلا إلى غرفته واستلقى على الفراش مرة أخرى متكاسلاً وهو يحلم بخلوة صباحية ساخنة مع عزيزة فى غياب الست فتحية.

وقفت عزيزة بالباب حاملة الصينية فدعاها للدخول، دخلت وهى مترددة ووضعت الصينية على الكمودينو المجاور للسرير واستدارت لمغادرة الغرفة. لم تشعر إلا وهى ممدة على الفراش وفاروق يرقد فوقها محتضناً إياها بكلتا يديه بقوة أفقدتها أى محاولة

fb/mashro3pdf

لاحتمال المقاومة. أمطر وجهها بالقبلات ثم التحم بشفتيها المكتنزتين فراحت فى نشوة حالمة مغمضة عينيها فى استسلام كامل.

عندما لانت فى أيديه تماماً، قام بخلع ملابسها دون مقاومة تذكر منها. خلع ملابسه هو أيضا بسرعة والتحم بها باندفاع جامح. أخذت تأوهاتها تتصاعد تدريجيا حتى أطلقت صرخة حادة عندما وصلت إلى الذروة وهى تتشبث به فى سعادة وامتنان.

بدأ التعقل يعود إليهما تدريجيا فنهضا مسرعين قبل أن تداهمهما الست فتحية. سحبت عزيزة ملابسها وأسرعت ناحية الحمام. ارتدى فاروق ملابسه بسرعة وسحب كوب الشاى فى يده متجهاً إلى الشرفة. جلس بالشرفة وأخذ يرتشف الشاى متأنياً فى هدوء وهو يشعر ببعض الانقباض. لماذا الانقباض؟ ... لا يدرى سبباً لذلك .. لقد استمتع مع عزيزة أيما استمتاع. امرأة ساخنة مقبلة على الجنس بنهم. هل هو الاضطرار إلى السلوك الخفى هو الذى يشعره بالانقباض؟ .. إحساس باللصوصية؟. التربية على خطيئة الجنس؟. مر وقت طويل قبل أن يعود إلى غرفته، وجدها قد رتبت الفراش وانسحبت إلى غرفة القعاد مرة أخرى مواصلة عملها. استعد للنزول مسرعاً وارتدى ملابسه ثم غادر المنزل كالهارب.

(١٧)

واظبت عزيزة على الحضور إلى الست فتحية يومياً عدا يوم الجمعة، إجازة عوض افندى، حيث تعودت الست فتحية ألا تعمل يوم إجازة زوجها، الذى تكرسه للأسرة.

كان فاروق يتسنح الفرص لمناوشة عزيزة عند انشغال والدته بالعمل. يقتنص فرصة وجود عزيزة بالمطبخ فيسرع إليها، يحتضنها ويخطف قبلة سريعة. فى البداية، كانت تقاومه خشية مداهمة الست فتحية لهما فجأة، لكنها سرعان ما استمرأت الاستسلام لقبلة سريعة أو حضن خاطف، بل كانت هى التى تسعى فى بعض الأحيان لاختلاق الفرص ليختليا معاً خلوة خاطفة.

fb/mashro3pdf

فى أول خروج للست فتحية إلى الموسكى، لم تُضِعْ عزيزة الوقت ودخلت إلى فاروق فى غرفته أثناء استغراقه فى النوم. تسحبت على أطراف أصابعها واندست بجواره فى الفراش. احتضنته بحنان فانتبه فاروق مرتبكا فى أول الأمر ثم ما لبث أن استوعب الموقف. كانا قد اعتادا بعضهما البعض مع تكرار مناوشاتهما معا خلال الفترة التى انقضت منذ لقائهما الأول. قبلته عزيزة قبلة ناعمة وهى تخبره أن الست فتحية غادرت لتوها المنزل إلى الموسكى وأنها لن تعود قبل انقضاء ثلاث ساعات على الأقل.

قالت له بدلال:

– يعنى عندنا وقت.

أشعلت ملاحظتها الرغبة فيه فاستدار إليها واحتضنها بقوة. أخذ ينظر إليها برغبة عارمة وهو يتأمل وجهها ملياً، نظرت إليه فى ضراعة وتسليم فانحنى عليها وقبلها قبلة طويلة. بدأ فى خلع ملابسها ببطء وهى تتلوى متأوهة حتى أصبحت عارية تماما أمامه. بدأ يتحسس جسدها ماراً بكفه على تضاريسه كلها وهى ترتعد رغبة، استدارت إليه وبدأت تخلع له ملابسه فى نداء لاهث. التحما عاريين تماماً لمدة من الوقت لم يشعرا بمرورها وكادا ينعسان بعد وصولهما للذروة. بدآ يشعران بالوقت تدريجياً فعزما أمرهما على النهوض قبل أن يسرقهما الوقت وتباغتهما الست فتحية فى ذلك الوضع.

(١٨)

مر وليم الصائغ على عم توفيق بصالون الحلاقة فوجده يقرأ الجريدة. بادره قائلا فى انفعال:

– هل سمعت آخر الأخبار، الجنود الأمريكيون نزلوا بلبنان.

– مكتوب بالجريدة أنه رد فعل لثورة العراق.

قال وليم بغضب:

– الأمريكيون فقدوا أعصابهم بعد الوحدة مع سوريا وثورة العراق. ربنا يستر ولا

fb/mashro3pdf

يحدث هجوم على العراق.

رد عليه الأسطى توفيق بفخر:

– مصر أعلنت أن أى اعتداء على العراق يعتبر اعتداء على الجمهورية العربية المتحدة.

علق وليم بسخرية:

– بهذا يكون حلف بغداد فى خبر كان.

أرسل عم توفيق مسعد لشراء الإفطار وإبلاغ الجماعة بالحضور إلى دكان وليم لتناول الإفطار.

(١٩)

كانت إجازة صيفية حافلة بالنشوة والمتعة بالنسبة لفاروق. فى الأسابيع الأولى كان منبهراً بالتجربة مما أثر على نشاطه التجارى فى توزيع لعب الأطفال مع خاله الحاج ربيع. كان يسعى إلى البقاء فى المنزل لفترات طويلة حتى يتسنى له الاختلاء بعزيزة. سرعان ما استعاد توازنه بفطرته التجارية مما جعله يضاعف مجهوده كى يعوض ارتباكه الذى نتج عن انفعاله بالتجربة المثيرة. حزم فاروق أمره على بذل أقصى جهوده لادخار أكبر مبلغ من المال، وخاصة أنها كانت آخر عطلة صيفية له قبل التخرج، لأنه يحتاج إلى رأسمال معقول فور إنهاء دراسته. ضاعف عدد المحلات التى يتعامل معها ويمدها بالبضائع، مما استلزم منه أن يقضى معظم وقته خارج المنزل. كانا يتحايلان، هو وعزيزة، على معرفة مواعيد نزول الست فتحية مسبقاً ثم يرتب نفسه على البقاء بالمنزل فى ذلك اليوم، حتى تعود والدته من مشاويرها. أحيانا لشراء لوازمها من الموسكى، وأحيانا لأداء زيارة واجبة أو مجاملة ضرورية لمعارفها وزبائنها. لم يكن من الصعب أن تفتح عزيزة الحديث مع الست فتحية لتعرف ما إذا كانت مشغولة فى اليوم التالى، وإلى أين ستكون وجهتها.

fb/mashro3pdf

(٢٠)

انتهت الإجازة الصيفية وبدأ العام الدراسى الأخير. سيحصل على بكالوريوس التجارة وينتهى من حياة التلمذة لينطلق فى مشوار حياته العملية. بدأ الدراسة بحماس وقرر أن يقلص نشاطه التجارى إلى الحد الأدنى، حتى يتمكن من التفرغ للدراسة بشكل فعال. سارت حياته مع عزيزة كالمعتاد مما ساعد على هدوء أعصابه كثيرا وزاد تركيزه العقلى. لقد جاءت له عزيزة هدية من السماء. أغنته عن صور چين مانسفيلد وبريچيت باردو.

«لماذا يحرم الجنس؟ ... أليس الجنس احتياجاً غريزياً؟ ... الحمد لله، لقد حلت عزيزة المشكلة بالنسبة لى ... أنا محظوظ ... واحدة جاهزة ومطلقة ... يا عينى». تداعت الأفكار بذهنه وهو ينتظرها بالمطبخ بعد أن أعطاها إشارة لتلحق به وهو يمر أمامها بالصالة.

حاول مراراً أن يقنعها بأن يمر عليها فى بيتها خلسة، لكنها رفضت خوفاً من الفضيحة. الست عنايات تلازمها فى معظم الأوقات وتشعر بأى زائر، فالشارع هادئ والحركة محدودة بالبيت. كانت أيضاً تخشى وجود الأولاد.

«لا لا ... لا يمكن أن أقبل». كانت تقلب الأمر فى رأسها من أن لآخر وتنتهى إلى الذعر والرفض رغم إلحاح فاروق المستمر، لذلك استمر الحال على الاكتفاء بالمناوشات العابرة وانتظار يوم خروج الست فتحية لينطلقا فى إرواء عطشهما الدائم لبعضهما البعض.

(٢١)

طرقت عزيزة باب الست فتحية وهى تشعر بالانقباض. لقد تركت ابنتها فاطمة وحرارتها مرتفعة مع الست عنايات جارتها. لا تعرف هل تستأذن من الست فتحية أم تعتمد على الست عنايات. قلبها لا يطاوعها. فتحت الست فتحية الباب مرحبة بعزيزة، لاحظت تجهمها وانطفاءها. سألتها مستفسرة:

fb/mashro3pdf

– خير يا عزيزة.

سالت الدموع من عينيها وهى تجيب فى انفطار:

– فاطمة عندها سخونة شديدة ... لم تنم طوال الليل.

– ألف سلامة يا بنتى ... اشربى الشاى معى وارجعى لها فوراً.

– اعفينى يا ست فتحية ... قلبى مخطوف عليها.

– طيب يا بنتى ... ألف سلامة.

انطلقت عزيزة عائدة لابنتها. فى طريقها أبلغت والدها بالصالون أنها استسمحت الست فتحية فى الاعتذار والبقاء مع فاطمة لرعايتها.

(٢٢)

انقطعت عزيزة عن الذهاب للست فتحية لمدة أسبوع. كانت قد ذهبت بفاطمة إلى مستوصف الراهبات بشارع الزهور عندما لم تفلح الإسعافات الأولية فى التغلب على ارتفاع الحرارة. مرت عليها الست فتحية للاطمئنان وطلبت منها أن تبقى مع البنت لحين تمام الشفاء.

اغتم فاروق لانقطاع عزيزة عن الحضور. لقد تعود رؤيتها ومناغشاتها، سخونة جسدها ونظراتها الشبقة. حنانها واهتمامها بكل شئونه المنزلية. لقد افتقدها على وجه العموم بعد أن اعتاد وجودها حوله. العادة، العادة أغلال ناعمة ممتعة مهيمنة، تختل منا الحياة إذا افتقدناها. اللعنة على الحرمان والاحتياج والعطش للارتواء.

جاءه الفرج عندما كان يستعد للخروج مساء أحد الأيام. طلبت منه الست فتحية، أن يقوم بتوصيل بعض الطلبات العاجلة لعزيزة، لتشطيبها بمنزلها وإحضارها لها فى اليوم التالى للضرورة. تظاهر فاروق بالتململ لتعجله ثم وافق متنازلاً رغم تأخره، إكراما لخاطر والدته. فعل ذلك ليعادل فرحته المباغتة، التى خشى أن تكون والدته قد انتبهت إليها.

اندفع مهرولاً وهو ينزل درجات السلم وعبر الطريق مسرعاً بين العربات المنطلقة.

fb/mashro3pdf

قصد شارع زنانيرى متجها إلى بيت عزيزة. تلفت وهو يدخل إلى المنزل متمنيا ألا يلحظه أحد. رغم أن المهمة رسمية ومعلنة، إلا أنه يفضل الستر والكتمان ليبقيا معا أطول فترة ممكنة. طرق الباب طرقات خافتة حتى لا تسمعه الست عنايات جارتها. جاءه صوت عزيزة مستفسرا فخفق قلبه. أجابها بصوت خفيض:

– أنا يا عزيزة ... فاروق.

فتحت عزيزة الباب مسرعة وهى تسأل فى ارتباك:

– خير يا فاروق؟

انتبه لمخاوفها فأشار إلى الحقيبة الصغيرة التى فى يده قائلا:

– ماما أرسلت لك بعض الشغل العاجل لتشطيبه وإعادته.

زفرت عزيزة زفرة اطمئنان وسحبته من يده إلى الداخل بسرعة. أغلقت الباب واستدارت إليه فوجدت نفسها بين ذراعيه، انهارت لبرهة ثم أفاقت بعدها وتملصت من بين ذراعيه وهى تهمس:

– الأولاد يا فاروق ... اعقل.

– سأموت من الاشتياق.

قالها وهو يمد يده إلى صدرها مداعباً.

تأوهت وهى تتراجع نحو باب غرفة الأولاد مستطلعة.

سألها فاروق متلهفاً:

– أين الأولاد؟

– فاطمة نامت ومازلت أحاول مع على.

قال فاروق:

– على مازال طفلاً ولن يلحظ شيئاً.

اقترب منها فسحبت باب غرفة الأولاد وأحكمت غلقه.

دخلا إلى الغرفة المجاورة وأغلقا الباب خلفهما. اعتصرها بين ذراعيه بنهم واشتياق عارم فخارت قواها فى الحال. استلقيا على أرضية الغرفة، خلع ملابسها بتوتر متصاعد

fb/mashro3pdf

ثم تخلص من ملابسه بعصبية والتحما معاً فى لهفة وحيوية غامرة. انتبها بمجرد أن وصلا إلى الارتواء فنهضا متعجلين وارتديا ملابسهما ثم خرجا يستطلعان الموقف.

كانت الصالة هادئة وغرفة الأولاد مازالت مغلقة.

استأذنها فى الدخول إلى الحمام للحظة فقادته إليه.

دخل إلى الحمام مسرعاً وراجع هندامه ثم خرج إليها ليودعها. قبلها قبلة سريعة وغادر فى هدوء متلفتا حوله وهو يتمنى ألا يلحظه أحد.

(٢٣)

«عودت عينى على رؤياك، وقلبى سلم .. سلم لك أمره» ليالى الشتاء الباردة، وسلطنة سهرات أم كلثوم فى الخميس الأول من كل شهر. ابتدأ العام الجديد، عام الأمل فى التخرج والمستقبل والانعتاق من الدراسة والمذاكرة وذل الامتحانات. عام الانطلاق إلى الحياة بكل ثرائها وتنوعها وتمنعها.

جاشت نفسه بالأحاسيس وهو يسهر عند صديقه عمار، يستمعان إلى الست وهى تشدو بتألق متجدد، وقد لف له عمار سيجارتى حشيش لتكتمل السلطنة مع البيرة المثلجة.

قام فاروق بعد نهاية الوصلة الثانية. كان يعتزم الاستفادة من يوم الجمعة فى مراجعة دروسه، فقد انتصف العام الدراسى وهو يريد أن يستعد مبكراً للامتحانات. لا يريد أن يضيع أى فرصة. لقد انتوى أن يدخل الامتحانات وهو على أتم استعداد. ألح عليه عمار أن يبقى معه لسماع الوصلة الثالثة لكنه أصر على الذهاب للنوم.

(٢٤)

عادت عزيزة إلى المواظبة على الحضور بعد شفاء فاطمة وانتظمت الحياة مرة أخرى فى دورتها المعتادة. يذهب فاروق إلى الكلية صباحاً. يعود بعد انتهاء محاضراته. يستريح قليلاً بعد تناول الغداء. ينتهز الفرصة للاختلاء بعزيزة. تدخل الست فتحية

fb/mashro3pdf

وعوض افندى لنوم القيلولة فتطول الخلوة بينهما، يستبد الطيش بفاروق أحياناً إلى حد أن يضاجعها فى غرفته دون النظر إلى العواقب. يرتوى الجسدان فتهرع عزيزة إلى غرفة القعاد مرة أخرى وتواصل مباشرة عملها.

(٢٥)

عاد فاروق من الكلية يوم الخميس ففوجئ بقدوم أخته سعاد من الإسكندرية لزيارتهم. لم يكن قد رآها منذ شهور. قبلها بحرارة واشتياق وهو يبادرها معاتباً:

– كل هذه الغيبة! ... يبدو أنك نَسِيتنا.

أجابته سعاد متعجبة:

– ولماذا لا تأتى أنت إلى الإسكندرية لتسأل على أختك!

– أنت تعلمين ظروف الدراسة ... وهذه السنة البكالوريوس.

– من يسمع كلامك يقول إنك لا تترك الكتاب!

دخلت عزيزة بالشاى فقدمته لهم وانسحبت إلى خارج الغرفة.

قالت الست فتحية:

– عزيزة ابنة عمك توفيق المزين، تجيء لمساعدتى. مسكينة، بختها مال بدرى.

– مطلقة أم أرملة؟ استفسرت سعاد.

– طلقها زوجها وترك لها طفلين.

قطع فاروق حديثهما متسائلاً:

– أين الأستاذ سامي؟ .. ألم يحضر معك؟

– بلى. أوصلنى وذهب إلى الوزارة لمأمورية من الإسكندرية.

توجه فاروق إلى والدته متسائلاً:

– ماذا طبخت لابنتك يا ست فتحية؟ سأموت من الجوع.

– فراخ محمرة وقلقاس مع صينية مكرونة.

– الله ... ليتك تجيئين كل يوم يا سعاد.

fb/mashro3pdf

أجابت الست فتحية معترضة:

– من يسمعك يقول إننا لا نأكل.

توالت المسامرات المرحة بينهم فى سعادة بادية لمقدم سعاد فى انتظار قدوم عوض افندى والأستاذ سامى.

(٢٦)

التأم شمل الأسرة على مائدة إفطار الجمعة. كانت علامات السعادة بادية على وجه الأستاذ سامى العلايلى زوج سعاد. الأستاذ سامى يكبر سعاد بخمسة عشر عاماً. موظف بوزارة الزراعة بالإسكندرية. رجل مكتمل الرجولة فى الأربعين من عمره. قمحى اللون، ممشوق القوام، تعلو وجهه ابتسامة دائمة كأنها ملمح من ملامحه. أعطى سعاد الدفء والسعادة والحب والأمان. لم يكن له إخوة فكتب لها البيت الذى ورثه عن أبيه بمحرم بك، خشية دخول أقاربه معها فى الميراث. لم يرزقهما الله بذرية رغم ترددهما الدائم على الأطباء ولكنهما استسلما لقضاء الله وتوحدا معاً بالود والحب والعشرة الطيبة. كان يهيم بسعاد ويراها ملكة متوجة فى عالم الأنوثة والجاذبية. هى كل حياته وعالمه الوحيد. سعاد شخصية لها حضور ورونق، مرحة، سمراء اللون، ذات شعر أسود فاحم وعينين سوداوين تلتمعان بالبريق والأنوثة. قوامها يميل إلى الطول ليناسب قامة زوجها الفارعة.

تساءل عوض افندى فى رجاء:

– لماذا لا تترك لنا سعاد أسبوعاً يا سامي؟

– لها ما تشاء يا عوض افندى.

علقت سعاد على الفور:

– وهل يرضيك يا بابا أن أترك سامى بمفرده؟ لا يوجد من يرعاه.

رد عوض افندى متعجباً:

– سامى رجل وسيدبر أمره.

fb/mashro3pdf

أجابت سعاد بنبرة من ينهى الحديث، وعلى وجهها ابتسامة عذبة:

– أعدك يا بابا أن الغيبة لن تطول بعد ذلك.

مر النهار فى دفء الالتئام وتوجس الفراق. أعطى فاروق نفسه إجازة من المذاكرة حتى استعدت سعاد وزوجها للعودة إلى الإسكندرية مستقلين قطار بعد الظهر.

(٢٧)

دوام الحال من المحال، مقولة طالما سمعناها ومرت على أسماعنا كغيرها من المأثورات، دون أن نعيرها التفاتا. لكنها تسطع فى حياة من تداهمهم الخطوب فجأة، فتوقظهم من خدر العادة وبلادة الاسترخاء.

جاءت عزيزة مهمومة مرتبكة إلى فاروق وهى لا تدرى كيف تبدأ الحديث معه. انتهزت الفرصة وهى تقدم له الشاى بغرفته وتمتمت بصوت يرتجف:

– أنا فى ورطة يا فاروق.

انتبه فاروق مأخوذا فتابعت:

– لقد تأخرت العادة الشهرية.

نزل الخبر على فاروق كالصاعقة فألجمه عن الكلام فى مبدأ الأمر.

هو لم يفكر جديا فى تبعات انطلاقه الجامح مع عزيزة. يعلم أن الستات يتصرفن فى مثل هذه الأمور. لم يشأ أن يفكر فى احتمال أنها لم تتخذ احتياطها لذلك الأمر.

سألها مفزوعا:

– منذ متي؟

أجابته عزيزة بانكسار:

– منذ شهرين.

– ماذا تعنين؟

أجابته موضحة:

– جاءت آخر مرة منذ شهرين.

fb/mashro3pdf

نادت الست فتحية على عزيزة فخرجت مسرعة وهى تمسح دمعة تماوجت فى عينيها.

(٢٨)

طرق فاروق باب منزل عمار بعصبية. طلب منه أن يصطحبه إلى مكان للحديث معه فى أمر هام. دعاه عمار إلى الدخول ريثما يرتدى ملابسه. انتظره فاروق فى قلق بالغ ثم غادرا المنزل معاً إلى الطريق بلا وجهة محددة. اقترح عمار أن يذهبا إلى «نايت آنددای» بفندق سميراميس حيث يمكن أن يتحدثا معا ويخبره فاروق بما يؤرقه. استقلا سيارة تاكسى إلى فندق سميراميس، حيث اعتادا أن يذهبا مرة كل شهر، ليكافئا نفسيهما بسهرة راقية متميزة، بكافتيريا الفندق الراقى. اتخذا مكانهما فى أحد الأركان وطلبا زجاجتى بيرة ستلا. استجمع فاروق نفسه بصعوبة وبدأ فى محاولة توضيح ما حدث قائلا:

– منذ مدة وأنا على علاقة بعزيزة ابنة عم توفيق المزين، طلب منى عم توفيق أن أستشير الوالدة فى إمكانية تعليمها الخياطة لتكتسب صنعة تحمى مستقبلها بعد أن مال بختها مع زوجها. بدأت تنتظم فى الحضور إلى منزلنا وكان ما كان. أخبرتنى باحتمال حملها. العادة الشهرية تأخرت لمدة شهرين. لا أدرى ماذا أفعل؟ ... مصيبة يا عمار ... كنت أتصور أنها تحتاط للأمر ... لم أتخيل لحظة واحدة أنها يمكن أن تهمل الأمر وتتركه للظروف. لا أدرى ماذا أفعل؟ ... أكاد أجن يا عمار .. هذه الحادثة قد تعوق مستقبلى تماماً ...

أجابه عمار وهو يحاول أن يواسيه:

– حاول أن تهدأ يا فاروق ... يوجد كثير من الأطباء الذين يقومون بعمليات الإجهاض. يمكن أن نتصرف.

– لا أدرى ماذا أفعل؟ .. لقد شل تفكيرى تماماً.

نهضا بعد أن وصل فاروق إلى حالة من الإجهاد والإعياء.

fb/mashro3pdf

(٢٩)

انقطعت عزيزة عن الحضور إلى بيت الست فتحية، لم تكن فى حالة تسمح لها بمواجهتها أو بلقاء فاروق. طلبت من والدها إبلاغ الست فتحية بأنها تشعر بالإرهاق وتعتذر عن الحضور للعمل وأنها تستسمحها فى إجازة قصيرة، تعود بعدها لمواصلة عملها. كانت وحيدة فى أزمتها وحدة موحشة، مهمومة وحزينة، تواجه بمفردها قدرها وهى تشعر بانقباض حالك يجثم على صدرها. تتماسك أمام أبيها، لكنها تنفطر فى بكاء بمجرد أن يغادر المنزل.

(٣٠)

مرت الأسابيع كئيبة رتيبة ولم يجدّ فى الأمر شيء. كانت تحاول أن تجرب ما سمعته لإنزال الجنين، تصعد إلى السرير ثم تقفز بقوة إلى الأرض عدة مرات، تعاود المحاولة كل يوم لعل الجنين يتزحزح ويتم الإجهاض. تجلس على الأرض باكية وتلطم خديها. تنهض لمعاودة التجربة. دون جدوى.

ذبلت عزيزة ذبولاً ملحوظاً وازداد شحوبها. تورمت جفونها من كثرة البكاء وهزلت هزالاً شديداً.

طرقت الست عنايات الباب لتطمئن على عزيزة كعادتها اليومية بعد خروج الأسطى توفيق إلى دكانه، جففت عزيزة دموعها وهى تفتح الباب.

– صباح الخير يا عزيزة.

– صباح النور يا خالتى عنايات.

– كيف حالك اليوم يا عزيزة؟. ألن تُبَرِّدِى قلبى وتُطَمئننى عليك.

كانت الست عنايات فى غاية من الحيرة لَهذا الذبول والانطفاء اللذين ألما بعزيزة. هى تشعر تجاهها بشعور الأمومة الذى حرمت منه. عزيزة ابنتها وسلوتها فى وحدتها بعد أن مال بختها وعادت للإقامة بشبرا. جلست بجوارها على الكنبة وعاودت السؤال الذى لا تمل من تكراره فى محبة صادقة ورجاء حميم:

fb/mashro3pdf

– طمئنيني يا عزيزة، خير يا بنتى، ماذا بدّلكِ هكذا؟

سألتها وهى تربت عليها فى حنان فارتمت عزيزة فى حضنها وانفجرت فى البكاء وهى تقول فى صوت مبلل بالدموع:

– أنا فى مصيبة يا خالتى ... أنا حامل.

وقع الخبر على الست عنايات كالصاعقة فزلزلها بشراسة كاسحة. ارتبكت للحظة وقلبها يخفق بشدة ثم ضمتها لصدرها واحتضنتها بقوة ونهر من الدموع ينساب من عينيها بلا توقف. راحت المرأتان فى بكاء حار. امتزجت دموعهما فوحدتهما وسمت بهما بعيداً عن الزمان والمكان. لأول مرة تزيح عزيزة هذا الحمل الثقيل عن كاهلها بعد طول عناء. لأول مرة تردد تلك الحقيقة الموجعة على شفتيها إعياء وهزيمة ويأساً بعد معاناتها الطويلة.

خيم الصمت على المكان لمدة لم يشعرا بها. انكمشت عزيزة فى حضن الست عنايات وهى تشعر بهدوء وإعياء وراحت فى نعاس شفيف.

(٣١)

لم تشأ الست عنايات أن تثقل عليها بالحديث وآثرت أن تتركها فى هدوء، حتى تستعيد نفسها بعد أن تطهرت من سرها الدفين. أخذت تربت عليها وتهدهدها كالطفل الصغير وعزيزة تسترخى فى حضنها فى استسلام وتسليم.

الست عنايات صامتة، لكن أفكارها تتدافع فى توجس وارتباك. جميع التساؤلات طرحت بذهنها. من ومتى وأين؟ مفهوم لماذا؟ . لكن البنت حركتها محدودة بين البيت والست فتحية. هل تعرفت على أحد أثناء ذهابها وعودتها؟. لم يأت إلى ذهنها ابن الست فتحية رغم تردده فى ثرثرة عزيزة لها عن الست فتحية وعائلتها.

– ماذا أفعل يا خالتى عنايات؟ ... أموت نفسي؟!

جاء صوت عزيزة خافتاً ضائعاً وهى فى حضن الست عنايات.

عقبت الست عنايات قائلة فى حنان:

fb/mashro3pdf

– اهدئى الآن يا عزيزة وصارحينى. قد نجد حلاً للمشكلة.

ربنا سبحانه وتعالى لا ينسى أحداً وهو رءوف رحيم. إياك أن تكفرى برحمة ربنا.

– إنى أتعذب عذاباً شديداً يا خالتى.

سألتها الست عنايات:

– من هو يا عزيزة؟

أجابتها عزيزة فى خجل بعد تردد:

– ابن الست فتحية .. فاروق.

– وأين كانت الست فتحية؟!

– كانت تذهب أحيانا لشراء بعض لوازم الشغل من الموسكى.

عقبت الست عنايات متعجبة:

– غريبة! . إنى أسمع عن الست فتحية كل خير، طيبة وعاقلة. كيف تتركككما بمفردكما بالبيت.

– أنا التى ضعفت يا خالتى.

– لا وقت للحساب الآن. يجب أن نتكلم مع الست فتحية.

تساءلت عزيزة بجزع:

– لم يا خالتى ... أنا خائفة.

– يجب أن يتحمل خطأه ويسترك.

ردت عزيزة فزعة:

– لا يا خالتى .. غير معقول .... فاروق يتزوجنى أنا المطلقة ومعى طفلان. هو المتعلم خريج الجامعة وأنا التى لا تفك الخط كيف؟

أجابتها الست عنايات بحزم:

– هذه ورطة وضعك فيها ويجب أن يتحمل مسئوليته.

لا مجال للحسابات.

– أنزل الجنين.

fb/mashro3pdf

– حرام عليك يا عزيزة .. حرام. لا تصلحى خطأً بمصيبة. لا تعاندى القدر. أنا عشت طول عمرى أتمنى طفلاً ...

(٣٢)

فى صبيحة اليوم التالى، ارتدت الست عنايات ملابسها مبكراً وانتظرت لحين مغادرة الأسطى توفيق. مرت على عزيزة قبل أن تتوجه للست فتحية. استسلمت عزيزة لها تماماً.

هى بلا حول ولا قوة وتشعر أنها بين أيد أمينة.

– سوف أذهب الآن للست فتحية كما اتفقنا يا عزيزة، لا يعرف الأمر إلا أنا وأنت. أبوك لا يجب أن يعرف الآن حتى ندبّر أمرنا.

– أمرك يا خالتى.

– يارب تنصرنا ... أفوتك بعافية، قولى يارب.

– يارب.

انطلقت الست عنايات متوجهة إلى شارع جزيرة بدران وهى تدعو فى سرها أن ييسر الله مهمتها الصعبة مع الست فتحية. طرقت باب الست فتحية التى فتحت لها مستطلعة:

– أنا عنايات، جارة عزيزة ابنة الأسطى توفيق المزين.

– أهلاً وسهلاً .. تفضلى.

دخلت الست عنايات خلفها وتوجهتا إلى غرفة القعاد والست فتحية تسألها مستفسرة:

– كيف حال عزيزة؟

أجابتها الست عنايات وهى تغالب نفسها:

– الحقيقة يا ست فتحية .. إن حالها لا يسر.

– خير يا ست عنايات، عزيزة انقطعت عن الحضور وأبلغنى الأسطى توفيق أنها

fb/mashro3pdf

تريد إجازة من العمل.

– الحكاية ليست إجازة. هذا ما جئتك من أجله.

قاطعتها الست فتحية:

– قبل أن يأخذنا الكلام، سأجهز الشاى أولاً.

قامت الست فتحية لعمل الشاى فأعطت الست عنايات فرصة لكى تلملم وجدانها المرتبك. عادت الست فتحية بالشاى وجلست قبالتها وهى تسألها:

– خير يا ست عنايات، ماذا جرى لعزيزة؟

أجابتها الست عنايات وهى فى غاية الارتباك:

– حكمتك يارب .. لا أدرى كيف أبدأ الموضوع، يا ست فتحية ... عزيزة حامل.

صرخت الست فتحية اعتراضاً:

– غير معقول!

– هذا ما حدث يا ست فتحية.

مرت لحظة صمت قطعتها الست فتحية متسائلة:

– ومن الذى غرر بها؟

ترددت قليلا الست عنايات قبل أن تجيبها بصوت خفيض مهموم:

– الأستاذ فاروق، ابنك.

تلعثمت الست فتحية مضطربة وهى تقول:

– يادى المصيبة .. استر يارب .. معقول فاروق... لا أعرف كيف أصدق ... عزيزة طيبة ومسكينة ... الطف يارب بعبادك ... هل أنت متأكدة يا ست عنايات؟!

أجابتها الست عنايات بحسرة وحزن:

– عزيزة كتمت الأمر طويلاً، لا تكف عن البكاء. المسكينة ضعفت وذبلت وكتمت مصيبتها فى نفسها ... ألح عليها يوميا أن تبوح لى بعلتها ... بالأمس فقط انهارت واعترفت لى.

fb/mashro3pdf

تجهمت الست فتحية وقالت:

– لابد أن أتحدث مع عزيزة أولاً. انتظرينى يا ست عنايات.

انتترت من مكانها ودخلت متعجلة لارتداء ملابسها.

(٣٣)

لم تستطع عزيزة أن تتحمل مفاجأة رؤية الست فتحية بصحبة الست عنايات عندما فتحت باب الشقة، لم تقو قدماها على حملها. شهقت شهقة حادة وخرت على الأرض ساقطة ورأسها يدور. فزعت المرأتان واندفعتا إليها تحاولان حمايتها من السقوط. أمسكتا بذراعيها ورفعتاها بصعوبة لتستلقى على الكنبة. كانت عزيزة ترتجف ارتجافة مخيفة لمحبتها الشديدة للست فتحية مربيتها وولية نعمتها. رقت لها الست فتحية وقالت وهى تربت عليها:

– لا تخافى يا ابنتى ... لا تخافى فسوف نجد حلاً بإذن الله ... لا ترتجفى يا ابنتى ... لأجل خاطرى ... لا ترتجفى فهذا خطر عليك.

مالت عليها الست فتحية وقبلتها على جبينها وقلبها ينفطر لنظرة الرعب والحزن والامتنان والرجاء التى كانت تنبعث من عينى عزيزة.

(٣٤)

خرجت الست فتحية من بيت الأسطى توفيق المزين بعد أن هدأت عزيزة واطمأنت عليها. لم تستطع أن تفتح الموضوع نظراً لحالة عزيزة المنهارة. كانت تريد أن تسمعها من عزيزة نفسها. كل شيء كان واضحاً كالشمس ... انهيار البنت ... نظرة الصدق فى عينيها ... الصدق الذى لا تخطئه العين ... الصدق المنبعث من الرهبة والضعف والرجاء الذى يتجاوز التوسل. تعففت عن السؤال. الست فتحية كانت كريمة النفس ... هى امرأة نبيلة ومسئولة. تتابعت الأفكار فى رأسها وهى فى طريق عودتها ... هم ثقيل تشعر به ... لم تكن تتمنى لفاروق هذا المصير ... فاروق ابنها الوحيد ... هل

fb/mashro3pdf

ينتهى به الأمر إلى تلك النهاية؟ ... لا تستطيع أن تهضم الفكرة ... كيف تتصرف فى هذه الورطة؟.

صعدت درجات السلم وهى فى غاية من الهم، كانت تحرك قدميها بصعوبة وإرهاق وهى تصعد الدرج، كأنهما كيسان من الرمال، كأنهما يمتنعان عن الفعل، قوة تجذبها للخلف وقوة تدفعها للأمام ... وقفت تستريح فى منتصف الدرج وتمسح دمعة ترقرقت فى مقلتيها.

واصلت صعود الدرج وهى تعد لمواجهتها مع فاروق.

(٣٥)

انتظرت الست فتحية عودة ابنها وهى محزونة مشتتة، لم تستطع القيام بأى عمل. لم تستطع سوى الانتظار والأسى. فتح فاروق باب الشقة ودخل إلى غرفته رأساً دون أن يبحث عن والدته كعادته لتحيتها، ومناغشتها عن أصناف الطعام. تساءلت الست فتحية، هل بلغه الخبر؟. إن عزيزة منقطعة منذ أسابيع. هل أبلغته قبل انقطاعها؟. هل قابلته بالخارج وأبلغته؟ ... تساءلت فجأة، هل يذهب إليها فى بيتها؟ جمعت كل تساؤلاتها وذهبت إليه.

كان باب غرفته مفتوحاً. دخلت إليه وهو جالس على حافة سريره مستغرقاً فى التفكير. بادرته بالسؤال:

– فيم تفكر يا فاروق؟

انتبه مرتبكا وهو يرد بدون تفكير:

– لا شيء ... المواصلات كانت مزدحمة ... أستريح قليلاً.

دخلت مباشرة إلى لب الموضوع فسألته:

– ما الذى حدث مع عزيزة؟

فاجأته بسؤالها المباغت الحازم اللهجة فتلعثم وهو يتساءل شاردا:

– هل عرفتِ؟

fb/mashro3pdf

– أريد أن أسمع منك.

أطرق صامتاً وقد ضاعت منه الكلمات.

– هل تورطت معها فى علاقة؟

– .....

– هل كانت العلاقة كاملة؟

– .....

– هل أبلغتك أنها حامل؟

تصاعدت سرعة وحدّة انفعال أسئلتها وهو لا ينطق بحرف واحد.

– هل حدث كل ذلك وأنت تعيش حياتك العادية ببرود؟

– .....

صرخت بانفعال شديد زلزل المكان:

– جبان.

– أرجوكِ يا ماما ... أعلم أننى قد أخطأت ... لا أدرى ماذا أقول لك ... إننى لا أجد الكلمات التى أجيبك بها ... إننى فى دوامة منذ أبلغتنى بالخبر قبل أن تنقطع عن الحضور ... ارتبكت فى الكلية وارتبكت فى المذاكرة ... سأجنّ من كثرة التفكير وهذا العام هو الأخير فى الكلية ... كنت أتمنى أن أنجح بتفوق وأنتهى من دراستى ... دارت الدنيا بى ... دارت الدنيا بى...

انهمر فاروق فى بكاء حار. كان يحب أمه ويجلها. نزل وقع اتهامها له بالجبن عليه كنصل حاد. أحس بصفعة أعادت إليه وعيه المفقود منذ أن عرف بالنبأ. قالت له الست فتحية بلهجة جادة، وقلبها ينفطر عليه:

– ليس هذا وقت البكاء.

مسح دموعه وقام إليها. اقترب منها وهو يقول لها:

– خذينى فى حضنك.

وانفجر مرة أخرى فى بكاء لم يستطع أن يتعامل معه بأى قدر من التحكم.

fb/mashro3pdf

احتضنته طويلاً وهى تربت عليه ثم قالت له:
– اهدأ الآن ... اغسل وجهك لتفيق وسنتكلم عندما تهدأ.

(٣٦)

عندما دخلا لقيلولة الظهيرة، بعد الغداء، أغلقت الست فتحية الباب وهى تقول لعوض افندى:
– أريد أن أتحدث معك فى أمر هام.
– خير يا فتحية.
– فاروق غلط مع عزيزة والبنت حامل.
انفعل عوض افندى مشدوها وهو يجيبها بتلقائية:
– مستحيل.
– هذا ما حدث وقد تأكدتِ بنفسى.
– وكيف تأكدت؟
– ذهبت للبنت والولد لم ينكر.
صمت الرجل من هول الصدمة وأصابه الوجوم.
قطعت فتحية الصمت متسائلة:
– ما العمل؟
استمر عوض افندى فى صمته ولم يحر جواباً.
استطردت الست فتحية قائلة:
– لقد تحدثت معه قبل قدومك فانخرط فى البكاء.
أجاب عوض افندى وهو شارد:
– ينبغى أن نفكر جيداً فى الأمر.

fb/mashro3pdf

(٣٧)

ذهبت الست فتحية فى اليوم التالى لزيارة عزيزة والاطمئنان عليها. فتحت عزيزة الباب ورحبت بها وهى تغض الطرف حياء. قبلتها الست فتحية بحنان وهى تسألها:

– كيف حالك اليوم يا عزيزة؟

أجابتها عزيزة ممتنة:

– الحمد لله يا ست فتحية. سألت عليك العافية.

– أين الأولاد؟

– يلعبون فى غرفة النوم.

ساد الصمت بينهما فقطعته عزيزة قائلة وهى تنهض كالهاربة:

– سأقوم لعمل الشاى، عن إذنك.

قامت عزيزة لعمل الشاى بالمطبخ وهى تتمنى أن تنشق الأرض وتبتلعها. دق جرس الباب فخرجت عزيزة لتفتح للست عنايات التى بعثت بها العناية الإلهية فى تلك اللحظة، لتنتشلها من ورطتها. رحبت الست عنايات بالست فتحية وجلستا تتسامران.

سألت الست فتحية – بصوت خفيض:

– هل يعلم الأسطى توفيق بالموضوع؟

– لا يعلم حتى الآن ولكن الوقت أزف ويجب أن نفاتحه فى الموضوع. لقد طلبت منها ألا تبلغه بشيء حتى أزورك.

أجابت الست فتحية فى أسى وحيرة:

– ربنا سيستر إن شاء الله.

نزلت هذه الإجابة الموحية سلاماً على قلب الست عنايات.

(٣٨)

تحتاج المصائب لبعض الوقت حتى يمكن أن نعتادها ونتعايش معها. قل لى ماذا يمكن أن يتغلب على العادة؟. حتى الموت لا يستطيع ذلك. تقع الواقعة فنجزع، ثم

fb/mashro3pdf

نرهق ونشعر بالإعياء، نخلد إلى النوم، لنستيقظ فى اليوم التالى ونحن نشعر بالعطش وبالجوع. نشعر بالرغبة فى أداء الوظائف الحيوية، وننشغل بالأحاديث الجانبية، بل وأحياناً نقص على بعضنا البعض الطرائف التى نتذكرها ونبتسم لها، وقد نقهقه على استحياء لنحمى النفس من الانفطار المستمر الذى يؤدى إلى الانهيار الحتمى.

الكواكب تدور حول النجوم، والنجوم تتحرك داخل المجرات التى تسافر فى فضاء الكون اللانهائى منذ ملايين السنوات الضوئية، ونحن ننام ونستيقظ ونولد ونموت، والمصائب والأفراح تأتى وتذهب فنعتادها وننسى ثم نواصل الحياة.

(٣٩)

كان وقع الصدمة شديداً على الأسطى توفيق الحلاق عندما أبلغته الست عنايات بعد تمهيد طويل. ذهل الرجل الطيب وأطبق عليه صمت القبور. حاولت الست عنايات أن تواسى الرجل بكل ما تملك من خبرة السنين. لم يكن يستمع إليها. كان يفكر فى عزيزة والفضيحة. كيف سيواجه الموقف؟ ما العمل؟ استأذن الست عنايات وخرج شارداً إلى الطريق. مشى كالتائه متجهاً نحو دكانه ففتحه. كان مسعد ينتظره على الباب كعادته دائماً فى الحضور مبكراً عن الأسطى توفيق. ترك مسعد بالصالون بعد أن أبلغه بأنه سيذهب لقضاء بعض المصالح وأنه لا يعرف متى سيعود. أوصاه بأن يغلق الصالون فى الموعد إذا تأخر فى العودة.

سار الأسطى توفيق واجماً بلا هدف أواتجاه. ظل يسير عدة ساعات كالمخدر حتى أعياه المسير. كان يتحرك بلا وعى ويعود إلى نفس المسارات دون أن ينتبه أو يعرف الحى الذى يجتازه أو يعود إليه مرة أخرى. وجد مقهى فجلس عليه ليستريح مما وصل إليه من إعياء. جاءه الجرسون، فطلب شاياً، ونظر حوله مستطلعاً لأول مرة. وجد نفسه فى ميدان العباسية. شعر بنبضات فى عروق ساقيه، سرعان ما انقلبت إلى آلام أخذت تتصاعد حتى أصبحت لا تطاق. أخذ يغالب الآلام حتى هدأت قليلاً فراح فى نعاس عميق، مسنداً رأسه إلى راحته. مر الوقت وهو فى نعاس حتى شعر بيد الجرسون تربت

fb/mashro3pdf

على ظهره لتنبهه. استيقظ تائهاً لا يدرى أين هو وانتبه على صوت الجرسون:

– الساعة الثامنة يا عم الحاج. هل أنت بخير؟

– بخير يا بنى. كنت متعباً فنعست.

علق الجرسون قائلاً:

– لم تشرب الشاى.

– غلبنى النعاس. هات واحد شاى ساخن من فضلك.

ابتعد الجرسون وبدأ الأسطى توفيق يستعيد وعيه تدريجيا. تذكر عزيزة وفرت دمعة من عينيه مسحها بظاهر يده.

شرب الشاى وجلس حائراً لا يدرى إلى أين يذهب؟. هو لا يريد العودة للبيت. يشعر بالقهر. غاضب مما حدث ومشفق على عزيزة وحيدته وحبيبته. ألا يكفيها ما قاسته مع محمود ... ولكن ... كيف فرطت عزيزة؟ ... الله يسامحك يا عزيزة.

كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة عندما نادى على الجرسون. دفع الحساب وغادر المقهى. سار فى طريق العودة وهو يشعر بآلام فى معدته. لم يأكل شيئاً منذ الصباح. كان يجر رجليه من فرط الإجهاد ولكنه لا يريد العودة إلى البيت. إلى من يذهب؟. وماذا سيقول؟. يشعر بوحدة موحشة ويأس خانق.

وصل إلى البيت وقد شارفت الساعة على الواحدة صباحاً. وقف أمام الباب متردداً ثم أخرج المفتاح وفتح الباب فى هدوء.

كانت عزيزة تقف فى الصالة فى حالة من القلق والضياع. نظر إليها طويلاً نظرة ملأى بالحزن والعتاب والأسى والحب العميق. انفجرت عزيزة باكية فى لوعة فريدة وارتمت فى حضنه. أخذها بحنان الأبوة المعذبة. احتواها، وربت عليها طويلاً دون أن ينبس بكلمة. دخل إلى غرفته واستبدل ملابسه ثم راح فى نوم عميق.

(٤٠)

ما أضيق الكلمات عند ذوى النفوس الكريمة، عندما تواجه الأحداث الجسام.

fb/mashro3pdf

استيقظ الأسطى توفيق متأخراً على غير عادته. كان فاقداً للهمة والنشاط. تمنى لو لم يكن مضطراً للنهوض. تمنى لو ينام نومة أبدية لا يصحو منها ولا يضطر لمواجهة واقعه الأليم. كان يشعر بآلام فى كل أجزاء جسده. تحامل على نفسه ونهض من الفراش. ارتدى ملابسه استعداداً للنزول وتناول لقمة سريعة. لم يأكل منذ صباح اليوم السابق. غادر المنزل فى طريقه إلى المحل. انفرجت أسارير مسعد عندما رآه قادماً. أقبل عليه فرحا وهو يقول:

– حمدا لله على السلامة يا اسطى توفيق.

– أهلا يا مسعد يا ابنى.

– لم ترجع بالأمس فانتابنى القلق.

لم يعلق الأسطى توفيق ودخل إلى الدكان مهموماً. دخل رشدى صاحب محل السجاير والحلويات وهو منفرج الأسارير كعادته وسأل الأسطى توفيق:

– أين كنت بالأمس يا رجل يا هراب؟

– كنت أقضى بعض المصالح المؤجلة.

– طوال النهار. لابد أنك تنوى اللعب بذيلك أو الزواج سراً.

رد عليه الأسطى توفيق متأسياً:

– بعدما شاب.

أجابه رشدى:

–الدهن فى العتاقى.

جاء عم عثمان البواب ووليم الصائغ. سأل عم عثمان متعجباً:

– خير يا أسطى توفيق؟ ... طول النهار غائب ... أنا كنت سافرت أسوان ورجعت يا رجل.

تذكر وليم الصائغ فسأل عثمان:

– أين التمر يا عثمان؟

أجابه عثمان بعصبية:

fb/mashro3pdf

– يا أخى ... لم يحضر أحد من أسوان حتى الآن.

علق رشدى على الفور:

– زملكاوى وملاوع.

رد عليه عثمان:

– اسكت يا أهلاوى أنت.

تدخل وليم بنبرة هادئة:

– أنت الزملكاوى الوحيد بيننا الآن يا عثمان، هدئ اللعب. ثم إن الأهلى يكسب الدورى منذ سنوات، فلا تتكلم حتى يكسب الزمالك الدورى ولو مرة واحدة.

لم يستطع عثمان أن يكمل الحديث، حيث إنه لا يجيد المراوغة.

علق رشدى بمكر:

– كل الناس تتحدث عن جول صالح سليم فى مرمى ألدو فى الماتش السابق.

– سلام عليكم.

قالها عثمان بعصبية وهو ينصرف غاضباً.

بذل الأسطى توفيق مجهوداً خارقاً حتى لا يبدو عليه الهم أثناء وجودهم.

(٤٢)

مرت الأيام والجميع صامتون. عزيزة حزينة لصمت أبيها والهم الواضح على ملامحه، لكنها فى نفس الوقت تشعر أن الهم الذى كانت تحمله بمفردها، قد شاركها فيه آخرون أعزاء. الست فتحية وعوض افندى لا يفتحان الموضوع. يفكران بعمق ولكن نوعاً من التواطؤ غير المعلن على تجاهل الموضوع قد وقر فى نفسيهما، أما فاروق، فقد حرص على مغادرة البيت، منذ الصباح الباكر، وعدم العودة إلا متأخراً بعد نوم الجميع. فعل الاعتياد فعله فى الجميع وانتظر كل واحد منهم أن يبدأ الآخر بالفعل. يمكن أن يقوم برد الفعل المناسب، لكنه ليس قادراً على البداية بالفعل. انطبق ذلك على الجميع فيما عدا الست عنايات.

fb/mashro3pdf

بعد مرور أسبوع على مفاتحة الست عنايات للأسطى توفيق فى الموضوع، أعادت الحديث معه مقترحة أن يذهبا معا إلى الست فتحية وعوض افندى للتشاور فيما يجب عمله. وافقها الرجل مستسلماً حيث إنه كان فى أشد الاحتياج إلى عقل يفكر له ويرشده فى ذلك الحلك الذى يخيم على حياته ويكاد يعصف بها. اتفقا أن يرسل الأسطى توفيق مسعد إلى الست فتحية ليطلب موعداً لزيارتها.

تحدد موعد الزيارة فى اليوم التالى. كان من الضرورى أن يتم فتح الموضوع فى بيت عوض افندى بعد بداية دوران عجلة الأحداث.

عندما عاد عوض افندى من العمل بادرته الست فتحية قائلة:

– الأسطى توفيق والست عنايات جارتهم سوف يزوراننا غدا.

بدا الهم واضحاً على ملامح عوض افندى عند سماعه الخبر وتساءل حائراً:

– وما العمل؟

– لابد أن نتكلم مع فاروق.

– فاروق يهرب منذ الصباح الباكر وحتى منتصف الليل.

– ننتظره حتى يعود. لابد أن نتشاور فى الأمر قبل مجيئهما.

ران صمت ثقيل بينهما. هما لم يتشاورا معاً فى المخرج من هذه المصيبة. يسيران فوق رمال متحركة ولا يرسوان على أرضية صلبة. صراع داخلى صامت بين الضمير والعقل، يخجل من أن يعبر عن نفسه.

(٤٣)

شعرت الست فتحية بعودة فاروق فأيقظت عوض افندى. استجمع عوض افندى نفسه بعد استيقاظه من نومه العميق بينما ذهبت الست فتحية لتستدعى فاروق. جلس الجميع فى غرفة القعاد وبدأت الست فتحية الحديث متسائلة:

– ماذا انتويت أن تفعل؟

رد عليها فاروق وهو شارد:

– لا أدرى.

fb/mashro3pdf

عقبت الست فتحية قائلة:

– الأسطى توفيق والست عنايات جارتهم سيجيئان لزيارتنا غداً. أريدك أن تكون موجوداً. الموعد فى السابعة مساء.

– وما ضرورة وجودي؟

ردت عليه الست فتحية بحزم:

– لتتحمل مسئوليتك.

أطرق فاروق صامتاً بينما واصلت الست فتحية:

– البنت حامل منك. الوقت يمر والحمل سيظهر. لا أدرى مخرجاً من هذه المصيبة إلا أن تتحمل مسئوليتك.

– كيف؟ ... وهى مطلقة ومعها طفلان؟

ردت عليه الست فتحية فى حزم:

– هذه وقائع ليست جديدة.

تساءل فاروق:

– ومستقبلي؟

أجابته الست فتحية على الفور متسائلة:

– ومصير البنت والجنين؟

قادت الست فتحية المناقشة بصرامة وهى لا تعلم كيف يتحمل مسئوليته سوى أن يتزوجها.

قال فاروق بعد فترة صمت:

– كما ترون. سأكون موجوداً فى الموعد.

لم ينطق عوض افندى طيلة الحديث. تعود على الثقة والاطمئنان لحسن تقدير وتصرف زوجته الست فتحية التى تتصدر بطبيعتها لجميع المهام الرئيسية لأسرتها ومعارفها.

fb/mashro3pdf

فى تمام السابعة، طُرق باب منزل عوض افندى، فتحت الست فتحية الباب ورحبت بضيوفها كأكرم ما يكون الترحيب. جلس الجميع، عدا فاروق، يتبادلون المجاملات المعتادة. يشعر الجميع بوطأة الموضوع الرئيسى، فيتحدثون فى أمور عمومية، يحتمون بها من الصمت الحرج، الذى سيسبق حتما الولوج إلى لب الموضوع. أخيراً وقع ما ليس منه بد، فتر الحديث وران الصمت. كان لابد من فارس لقيادة المقادير. تقدمت الست عنايات باعتبارها أكثر المجتمعين حيادا، من ناحية صلة الدم، على الأقل، تجاه جميع الأطراف، رغم عظيم حبها لعزيزة. قالت:

– الحقيقة المهمة حساسة وصعبة، لكنه قدر ومكتوب.

قاطعتها الست فتحية معتذرة ونادت على فاروق الذى دخل إلى الغرفة غاضاً من بصره خجلاً وارتباكاً. نهض الضيوف لتحيته ثم دعت الست فتحية الست عنايات لإكمال حديثها فواصلت قائلة:

– هذه إرادة الله فماذا نفعل حيالها ... عزيزة ابنتكم والأستاذ فاروق ابننا والعشرة ممتدة وطيبة. الأسطى توفيق رجل فاضل، تقدم به العمر وفجع مرتين فى ابنته الوحيدة عزيزة ... كلنا يمكن أن نخطئ والله غفور رحيم. قاطعتها الست فتحية قائلة:

– كلامك مفهوم يا ست عنايات. عزيزة ابنتنا والأسطى توفيق رجل فاضل وعزيز على الجميع.

تململ الأسطى توفيق كمن يريد أن تتحدد الأمور بدلاً من اللف والدوران حول الموضوع. نفد صبره وهمه ناء بحمله. تدخل الأسطى توفيق فى الحديث قائلاً:

– أنا رجل مزين صحيح، لكن الدنيا مدرسة كبيرة، علمتنى الكثير. لقد نزلت إلى معترك الحياة وعمرى أحد عشر عاماً لأساعد أمى بعد وفاة أبى. الدنيا علمتنى الكثير وجعلتنى قانعاً بالقليل. أنا أعلم أن عزيزة مطلقة وغير متعلمة، إلى جانب أنه معها طفلان، الأستاذ فاروق رجل جامعى وربنا يوفقه بالحصول على البكالوريوس هذا العام. المقامات محفوظة وأنا أفهم ذلك جيداً. لكن الخطأ قد حدث والفضيحة واردة لا محالة، ولا يُرضى أحداً أننى بعد هذا العمر الطويل فى الحى، تمرغ رأسى فى التراب،

fb/mashro3pdf

والبنت مسكينة ومصدومة. أنا أقترح أن يعقد الأستاذ فاروق على عزيزة ليسترها ويسترنا من الفضيحة، وبمجرد أن تضع مولودها بالسلامة، له الحق أن يخلى سبيلها ويطلقها. الطفل له ربنا ومن بعده فنحن موجودون ولن يهون علينا ضنانا وحفيدنا.

كان حديث الرجل حاراً وصادقاً ومنطلقاً من قلبه ببساطة ودفء ورجاء. انهمرت دموعه بعدها فأخذ يعتذر ويتأسف للجميع ولم يدر ماذا يفعل؟. بكى كالأطفال ولم يستطع أحد أن يوقف بكاءه. تقدم إليه عوض افندى محاولاً أن يهدئه وهو من الأسى فى غاية. قامت الست فتحية فأحضرت له كوباً من الماء. لم يستطع فاروق أن يرفع رأسه طيلة حديث الرجل.

بعدما هدأ الأسطى توفيق قليلاً، قالت الست فتحية فى حزم:

– سيعقد فاروق على عزيزة ولا حديث عن الطلاق الآن. الأصول ستراعى. اطمئن يا أسطى توفيق. كل ما أرجوه أن يتم الموضوع بهدوء مراعاة لدراسة فاروق وفترة الامتحانات، وليفعل الله ما فيه الخير للجميع.

(٤٥)

انتظرت الست فتحية نوم زوجها. بعد أن تأكدت أنه قد راح فى نوم عميق، تسحبت وخرجت بهدوء من غرفة النوم. تأكدت أيضاً أن مصباح غرفة فاروق قد أطفئ، فلا ضوء ينبعث من فرجة الباب. دخلت إلى غرفة القعاد وأحكمت غلق بابها. جلست وحيدة بجوار النافذة وانفطرت فى بكاء حار مكتوم. هى أم قبل كل شيء. ابنها الوحيد يتزوج من مطلقة ومعها طفلان. تكبره سناً وغير متعلمة. لا يوجد تكافؤ بينهما ولكنه المكتوب. نظرت نظرة حزينة إلى السماء وهى تستغفر ربها. الست فتحية مؤمنة إيماناً فطرياً عميقاً، لكنها حزينة لما آل إليه مستقبل ابنها الوحيد.

(٤٦)

سرعة إعلان تقدم فاروق لعزيزة وإتمام زواجهما أثارت الدهشة والتعجب لدى كل الناس. أثارت أيضاً الريب والأقاويل.

fb/mashro3pdf

أكيد أن فى الأمر سراً ولكن استنتاجه يسير. الناس يتعجبون ويرتابون ثم سرعان ما تطوى الأيام التعجب والريب فى ثنايا الاعتياد والمودة والألفة وتتابع الأيام.

عقد فاروق على عزيزة فى حفل محدود يضم الأسرتين فقط، أعلن للجميع أن كتب الكتاب قد تم بشكل أسرى وبدون احتفال لظروف العروسين. عزيزة لظروفها وفاروق بسبب امتحانات البكالوريوس. تقبل الأحباب الموقف بصدر رحب وبفرحة لعزيزة والأسطى توفيق. استمر فاروق بمنزله حرصاً على مستقبله فالامتحانات على الأبواب. كذلك فإن منزل الأسطى توفيق لا يتسع لتخصيص غرفة خاصة لفاروق للمذاكرة. أعلن أن ذلك حل مؤقت لحين إيجاد شقة للزوجية وتجهيزها للعروسين. دفعت الست فتحية فاروق لزيارة عزيزة بين الحين والآخر للاطمئنان عليها طبقا للأصول. قام فاروق بزيارات متباعدة لعزيزة رغم شعوره بالانقباض والهم قبل كل زيارة. فقد كل رغبة فيها كأنثى وتمنى لو لم يحدث ما حدث منذ البداية.

(٤٧)

قاوم فاروق أحزانه واغتمامه وواصل بذل المجهود فى الاستذكار والمراجعة. بدأت امتحانات البكالوريوس فسحبته دواماتها من كل اهتمام عداها. كان قد عقد العزم على ألا يترك أية فرصة تعوقه عن الحصول على البكالوريوس. هو الآن أكثر احتياجاً للنجاح والانعتاق من أسر الدراسة والكلية والبيت والأسرة وعزيزة وطفلها المنتظر. يريد أن ينطلق بكل كيانه نحو المستقبل. سيتعلق بطموحه المعهود لينقذه من الغرق فى يم التقاليد وأخطاء الماضى.

انتهت الامتحانات بسلام. شعر أنه قد وفق فى جميع المواد والبقية على الله والنتيجة المنتظرة.

فى انتظار إعلان نتائج الامتحانات، قرر أن يبدأ نشاطه التجارى بكثافة حتى يهرب من البيت والحى وواقعه المزعج أطول فترة ممكنة. عرض على خاله الحاج ربيع سلامة أن يفتح سوق الأقاليم. قال له فى أول لقاء بعد الامتحانات:

fb/mashro3pdf

– فلنبدأ بالإسكندرية. الإسكندرية مدينة كبيرة ومزدحمة فى الصيف وستكون بإذن الله سوقا رائجاً.

تساءل الحاج ربيع:

– وكيف ستتابع السوق وأنت هنا بالقاهرة.

أجابة فاروق مطمئناً:

– سأسافر إلى الإسكندرية وأقيم فترة هناك، سأعرض العينات على المحلات الكبرى. أجمع منها الطلبات وأعود إلى القاهرة لأخذ البضاعة والعودة بها إلى الإسكندرية.

سأله الحاج ربيع مستفسراً:

– وماذا عن التحصيل؟

أجابه فاروق:

– سأحاول أن أتفق مع التجار على الدفع بشيكات أو كمبيالات.

– وماذا ستفعل مع التجار الذين لا يتعاملون بالشيكات ويفضلون التحصيل النقدي؟

– سأحدد يوماً كل أسبوع للتحصيل النقدى. الإسكندرية ليست بعيدة. بضع ساعات بالقطار أو الأتوبيس.

– على خيرة الله. ربنا يوفقك يا ابنى ويعطيك على قد اجتهادك.

كان الحاج ربيع وأسرته قد صدمهم زواج فاروق الغامض المباغت. تبخرت أحلامهم بالنسبة لزواجه من ابنتهم محاسن، لكن الحاج ربيع تاجر عملى ولا يدع مثل هذه الأمور تؤثر على العمل والمصالح.

(٤٨)

أبلغ فاروق والدته أنه سيسافر إلى الإسكندرية فى مهمة عمل وسيعود بعد أسبوعين. أراد أن يعدها نفسياً لفترة غياب طويلة. أبلغ عزيزة كذلك فى زيارة خاطفة

fb/mashro3pdf

للاطمئنان عليها وعلى حملها. دعت له بالتوفيق والسداد. مرت عزيزة بفترة الوحم مع متاعبه المعتادة وواصلت حملها فى رضى وتسليم.

(٤٩)

قبل سفره إلى الإسكندرية، أمضى فاروق يومين فى المرور على تجار القاهرة. هو لا يريد أن يخسر تجار القاهرة وحرص على ألا تؤثر خطته الجديد للتوسع على عمله معهم. جمع طلباتهم ونفذها بسرعة ودأب محموم.

طرق باب شقة الأستاذ سامى العلايلى بشارع الإسكندرانى. فتحت سعاد الباب ففوجئت بفاروق. تعانقا عناقاً حاراً وهى تقول له:

– إسكندرية نورت. أول زيارة لك منذ الصيف الماضى.

– البكالوريوس ومشاغله.

قالت بنبرة ذات مغزى:

– البكالوريوس فقط!

– الرحمة يا سعاد ارحمى أخاك.

– القافية تحكم، فوّت. كيف حال ماما وبابا؟

– بخير والحمد لله. يرسلون لك سلاماً حاراً. ماما أرسلت معى صينية كنافة لك.

– فيها الخير والله.

دعته للدخول إلى غرفة النوم المخصصة للزوار وذهبت تعد له الحمام بعد عناء السفر.

(٥٠)

سامى زوج سعاد رجل كريم مضياف، يحمل كل المودة لها ولعائلتها. رحب بقدوم فاروق وسعد جداً لبقائه طرفهم بالإسكندرية. شرح لهما أنه جاء لفتح سوق الإسكندرية بالاتفاق مع خاله الحاج ربيع وأنه سيكون دائم التردد على الإسكندرية مما

fb/mashro3pdf

أثلج صدر سعاد التى كانت تفتقد أسرتها كثيراً بعد زواجها وانتقالها للاستقرار بالإسكندرية. لم يكن فاروق معتاداً على مدينة الإسكندرية، حاول أن يجمع المعلومات من سامى عن الأحياء التجارية والمحلات الكبرى التى يمكن أن يعرض عليها عينات البضاعة التى أحضرها معه. عرض عليه سامى أن يصاحبه فى الأيام الأولى إلى أن يعتاد الشوارع والأحياء، شكره فاروق لمروءته وقرر أن يخوض التجربة بمفرده حتى يستطيع أن ينجز سريعاً بدون ارتباط بمواعيد سامى، الذى يعمل صباحاً موظفاً بوزارة الزراعة. أمضى فاروق أسبوعاً من العمل الشاق، استطاع فيه أن يألف المدينة وشوارعها. اتفق مع صاحب محل للدراجات على استئجار دراجة باليوم وحصل منه على خصم كبير عندما أغراه بأنه يمكن أن يستأجرها لمدة أسبوع كامل. ضمن الرجل تأجير الدراجة لمدة أسبوع كامل بدلاً من سويعات قليلة يومياً. انغمس فى العمل انغماساً محا من ذاكرته كل همومه وشواغله.

(٥١)

أبلغ فاروق سعاد وسامى، أنه سيعود إلى القاهرة يوماً واحداً لتحضير طلبيات البضاعة، ثم يرجع فى اليوم التالى. توجه فى الصباح الباكر إلى محطة السكك الحديدية. استقل إكسبريس الصباح المتجه إلى القاهرة. نزل إلى الموسكى رأساً وسلم الحاج ربيع طلبيات البضاعة التى حصل عليها. بش له الحاج ربيع عندما قدر قيمة الطلبيات. قال لفاروق:

– هذا سوق جيد ورزق من عند الله.

طلب فاروق تحضير الطلبيات فوراً وأبلغه أنه سيحضر لاستلامها فى اليوم التالى مبكراً، حتى يتمكن من السفر إلى الإسكندرية وتوزيع البضاعة على التجار. اتفق مع سائق السيارة التى ستنقل البضاعة وأعطاه عربوناً.

اتجه إلى شارع جزيرة بدران متثاقلاً. لقد اشتاق إلى والدته ووالده لكن الماضى القريب يدفعه إلى الغم والاكتئاب. غالب مشاعره وواصل طريقه. استقل أتوبيس ٢٥

fb/mashro3pdf

من موقف العتبة وجلس بجوار النافذة. سرح بفكره فيما مضى وما هو آت. انتبه على صوت الكمسارى وهو ينادى «محطة البوظة» فنهض واتجه للنزول. عبر شارع شبرا وتوجه إلى شارع جزيرة بدران. بعد أن تخطى أجزخانة زاريه، لفحت أنفه رائحة السمك المشوى المنبعثة من محل الحاج محمود السماك. نشطت رائحة السمك عصافير بطنه وأمل فى وجبة شهية من يدى الست فتحية. اقترب من محل الأسطى توفيق فخفق قلبه سريعاً. لابد أن يمر لتحيته. استجمع نفسه ودخل إلى المحل محيياً:

– السلام عليكم.

رحب به عم توفيق وهو يمد يده مصافحاً:

– سلام ورحمة الله وبركاته. حمد الله على السلامة.

بادره فاروق بالسؤال:

– كيف حالك يا عم توفيق وكيف حال عزيزة؟

– بخير والحمد لله يا ابنى. لا ينقصنا سوى رؤياك.

استدرك فاروق قائلاً:

– سأسلم على الوالدة ثم أمر على عزيزة.

استأذن فى الانصراف سعيدا بالانتهاء من المهمة الثقيلة.

(٥٢)

كانت الست فتحية تعد نقود الجمعية تمهيداً لتسليمها للست أم فايز جارتها عندما طرق فاروق باب المنزل. بشت لمقدمه وربتت على ظهره بحنان عندما احتضنها بحرارة واستراح لبرهة فى صدرها الحنون. قالت له فى شوق:

– كل هذه الغيبة!

– ظروف الشغل. كانت أيضاً فرصة لأرى سعاد وأشبع منها.

– كيف حالها هى وسامي؟

– بخير ويرسلان لكما السلام.

fb/mashro3pdf

– هل أجهز لك الطعام؟

– ماذا طبخت اليوم يا ست فتحية. أنا جوعان ومشتاق لطبيخك.

– حظك حلو. ملوخية بالفراخ.

ذهبت الست فتحية لتعد له الطعام بينما دخل فاروق إلى غرفته لتغيير ملابسه. فتح حقيبته فوق السرير وأخرج الملابس المستعملة للغسيل، استبدل بها ملابس نظيفة يأخذها معه إلى الإسكندرية. سألته والدته وهى تجلس قبالته على المائدة:

– هل مررت على عزيزة؟

– سأستريح قليلاً ثم أمر عليها.

أجابها فى اقتضاب ثم استأذنها فى الدخول إلى غرفته للراحة قبل أن يذهب لزيارة عزيزة.

(٥٣)

قالت عزيزة بانكسار بعد فترة صمت:

– أوحشتنى يا فاروق.

رد فاروق بارتباك:

– وأنت أيضاً يا عزيزة. كيف حال الحمل؟

– الحمد لله، ذهبت إلى المستوصف فكتبوا لى برشام. قالوا إنه مقو للحامل. هل أنهيت أعمالك بالإسكندرية؟

– جئت لآخذ البضاعة وسأعود غداً صباحاً لتوزيعها على التجار.

– بالتوفيق إن شاء الله.

مرت الزيارة هادئة فى رتابة. استأذن فاروق فى الانصراف بعد أن ترك لها وهو يودعها خمسة جنيهات مساهمة فى نفقاتها. تمنعت قليلاً ثم قبلتها ممتنة له.

fb/mashro3pdf

أغسطس، شهر الرطوبة الخانقة والقيظ اللافح. كانت عزيزة فى أواخر حملها وتنتظر مولودها الجديد بين يوم وليلة. واصل فاروق نشاطه بين القاهرة والإسكندرية بعد ظهور نتيجته ونجاحه فى البكالوريوس، مؤثرا أن يقضى الوقت الأطول فى الإسكندرية. أثر النسيان تأثيره الخالد على الإنسان فتباعدت واقعة زواج فاروق الخاطف من عزيزة وتعايش الجميع فى الحى فى تواطؤ غير معلن على تخطى الواقعة ثم نسيانها ومواصلة الدوران اللانهائى فى فلك الزمان.

بعد أن انتصف شهر أغسطس بقليل، وضعت عزيزة مولودتها من فاروق. بنت صغيرة الحجم، لم تتضح معالم ملامحها بعد. قامت الحاجة إحسان القابلة بتوليدها فى البيت، فى وجود الست فتحية والست عنايات التى لم تفارقها طيلة الأيام الأخيرة للحمل، شعورها هو شعور الأم التى تنتظر ميلاد حفيد لها من ابنتها الوحيدة. وصل فاروق من الإسكندرية فى اليوم التالى. علم من الأسطى توفيق بالخبر فشعر بمشاعر جياشة مختلطة بداخله، لم يستطع أن يصنفها. استدار متجها إلى شارع زنانيرى وهو فى غاية من الاضطراب. هو الآن أب لطفلة وليدة، فاجأته فى مجرى حياته المنتظم فزلزلت كيانه قبل أن يتماسك بمشقة شديدة. أهو فَرِح، مشتاق، خائف، متلهف، مرعوب أم ... ماذا؟ تلاطمت الأفكار فى رأسه وهو فى الطريق لرؤية ذلك الوافد المحير. ماذا يختار من اسم لها، فاتن حمامة، مولع هو بفاتن حمامة ولا يدع فيلماً لها دون أن يشاهده. سيسميها فاتن. مدت الست عنايات يدها بالمولودة إلى فاروق. تناولها بين يديه فى ارتباك ورهبة من أن تسقط منه. يخشى أن يطبق عليها بكفيه فيؤذيها، قالت له الست عنايات بحنان:

– قبِّل ابنتك ياسى فاروق.

fb/mashro3pdf

(٥٥)

مرت الولادة والسبوع، والبهجة والأمل المصاحبان لقدوم وافد جديد إلى الحياة. ترددت صرخات فاتن فى جنبات شقة الأسطى توفيق وهى تترعرع فى شهورها الأولى. واظب فاروق على زيارتهم أول الأمر ثم بدأت تتباعد زياراته تدريجياً. لم تنقطع زيارات الست فتحية المنتظمة لحفيدتها. كانت تعتز بها اعتزازا خاصاً، نظرا لأن فاتن هى الحفيدة الأولى لها. كانت تحملها فى حنان وتتأسى على ابنتها سعاد التى لم يشأ العلى القدير أن يرزقها بالذرية. حرصت دائما على التأكد من أن فاروق ينفذ ما حكمت به، أن يعطى عزيزة عشرة جنيهات شهرياً على الأقل، كنفقة لها وللمولود. أوصته ألا يبخل على ابنته كلما وسع الله عليه بالرزق. التزم فاروق بمصروفات فاتن كما حكمت والدته. هو يكسب ويدخر وتجارته تزدهر مع الأيام. كثيرا ما منح عزيزة مبالغ أكثر مما قسمت به الست فتحية. لم يبخل عليها فالرزق موفور والحمد لله. كان يشعر أحيانا أنه يكفر عن فعلته بإرسال مزيد من النقود إليهم.

(٥٦)

تطورت تجارة فاروق وازدهرت بعد أن مد نشاطه إلى مدن الوجه البحرى أولاً، ثم مدن الصعيد فيما بعد. سافر إلى طنطا والمنصورة ودمنهور وبنها وكوّن العديد من العملاء. توسعت أعماله وكانت تشحن له يوميا عدة سيارات إلى عملائه المنتشرين فى مدن الوجه البحرى. غطى بنشاطه مدن الصعيد أيضاً. كانت السيارات المحملة بالبضائع تغطى جميع المدن الكبرى ابتداء من بنى سويف وحتى أسوان. اشترى سيارة نصف نقل مستعملة واتخذ مكتبا صغيرا بشارع الجيش قريبا من الموسكى. شقة مكونة من غرفتين وصالة بالدور الأرضى فى عمارة يمتلكها أحد التجار الذين يتعامل معهم. لم تقتصر تجارته على لعب الأطفال فقط بل تنوعت إلى العديد من الخردوات والأكسسوارات التى يحتاج إليها عملاؤه. كان يمتلك نظرة تجارية ثاقبة وقدرة فائقة

fb/mashro3pdf

على التنظيم. استعان بمندوبين للمبيعات يعملون معه وتحت إشرافه وتوجيهه، حتى يستطيع أن يتابع عملاءه المتزايدين فى أنحاء الوجهين البحرى والقبلى.

(٥٧)

«قلنا حانبنى وأدى احنا بنينا السد العالى». كانت الفرحة تعم البلاد بمناسبة بداية بناء السد العالى. رحلة شاقة بدأت بسحب عروض تمويل بناء السد العالى مروراً بتأميم القناة والعدوان الثلاثى. حلم وطنى تأججت له مشاعر المصريين جميعاً. كان السد العالى هو حديث الجميع وأغنية الجميع.

اجتمع شمل الأصدقاء، الأسطى توفيق، وليم الصائغ، رشدى وراغب البقال على طعام الإفطار وصوت عبد الحليم ينادى إخوانى تسمعوا الحكاية، فيرد عليه الكورس مشترطاً بس قولها م البداية.

قال رشدى منفعلاً:

– تصور يا وليم، سيقومون بتحويل مجرى النيل.

أجابه وليم بتأمل:

– يصنعون ما لم يحدث منذ فجر التاريخ ... مشروع خطير.

قاطعهم راغب البقال قائلا:

– نحن جوعى يا سادة، نرسل مسعد لإحضار الفطور أولاً وبعدها تناقشوا فى السياسة كما تشاءون.

راغب البقال هو الزملكاوى الوحيد فى المجموعة، حول الحديث إلى مباراة الأهلى والزمالك المرتقبة عندما سأل وليم بدهاء:

– ماذا تخمن لنتيجة ماتش الغد؟

أجابه وليم بهدوء:

– الأهلى سيكسب طبعاً.

علق رشدى بتحدى:

fb/mashro3pdf

– أقل نتيجة ثلاثة صفر للأهلى.

قال وليم بإشفاق:

– حرام يا رشدى، الرحمة حلوة. يكفى هدفان، هدف لصالح والآخر للجوهرى.

تساءل راغب مستنكرا:

– ألا تريد أن يحرز الزمالك هدفاً واحداً؟

رد رشدى على الفور:

– من الصعب إصابة مرمى عبد الجليل.

تواصل الحديث على صوت عبد الحليم حافظ وهو مازال يحكى قصة بناء السد العالى.

(٥٨)

اتخذ فاروق لنفسه مسكناً خاصاً. استأجر شقة بحى الفجالة وانتقل إليها وسط اعتراض والديه.

دون أن يفكر فى الأمر، كان يريد أن يبتعد عن شارع جزيرة بدران وعن حى شبرا بأكمله الذى يذكره دائماً بسقطته التى أربكت حياته وكبلته بقيود لم ترد له فى الحسبان. فى بداية المشكلة، كان الحل الذى ابتدعه هو توسيع نشاطه بالإسكندرية وإقامته فيها لفترات طويلة، تعفيه من التواجد بشبرا متذكرا تلك الورطة فى كل لحظة ومكتوياً بمعاناتها. بعد أن توسعت تجارته وغطت الوجهين البحرى والقبلى، لم يعد من الممكن الإقامة فى الإسكندرية. وجوده فى القاهرة أصبح حتمياً. القاهرة هى مركز الأعمال الرئيسى ومركز الاتصالات التى تيسر إنجاز الأعمال وفتح المجالات للنمو والازدهار. من المحتم أن يقيم بالقاهرة ومن المستحيل بالنسبة إليه أن يقيم بشبرا، خاصة عندما يقوم بطلاق عزيزة. هكذا أصبح الانتقال لمسكن بحى آخر ضرورة حتمية. الحال ميسور وهو يقدر على هذه الخطوة.

fb/mashro3pdf

(٥٩)

شبت فاتن فى منزل الأسطى توفيق مع أخويها فاطمة وعلى. اهتمت عزيزة بفاتن اهتماما فائقا حتى تثبت لأهل فاروق أنها كفء لتربية ابنتهم، وخاصة أن فاروق كان مواظباً على إرسال نفقات فاتن وازداد سخاؤه مع ازدياد يساره. كذلك ساهمت هدايا الست فتحية من الملابس واللوازم فى إكمال احتياجاتها وتيسير مهمة عزيزة.

بدأت فاتن فى النطق وعندما نطقت بكلمة بابا لأول مرة، كانت الست فتحية فى زيارتهم. شعرت بغصة فى حلقها رغم فرحتها الغامرة. تأست على الطفلة البريئة التى لا تعلم شيئا عن الماضى الذى أتى بها، ولا يعلم إلا الله المستقبل الذى تمضى إليه. عندما أكملت العام، بدأت تنتصب بقامتها وتقف على ساقيها مستندة إلى أقرب دعامة لها وسط احتفاء الجميع وسعادتهم بالزهرة اليانعة المتفتحة.

(٦٠)

حدث ما كان يتوقعه الأسطى توفيق ويخشاه. تم طلاق عزيزة من فاروق بعد أن أتمت فاتن عامها الأول بقليل. وقع الخبر كالصاعقة على عزيزة وانفطرت فى بكاء مستديم لمدة ثلاثة أيام حتى نهرتها الست عنايات قائلة:

– كفاية يا عزيزة، حرام ... انتبهى للأولاد ولنفسك.

لم تكن عزيزة مدركة بوضوح لكيفية تطور الأحداث. لقد تعلقت بفاروق بعد تجربتها المريرة مع زوجها الأول محمود الكهربائى، أخطأت مع فاروق، حملت منه، تعذبت بسببه ثم تزوجها ... لم تعش معه كالأزواج، أقامت بمنزل أبيها وسافر هو بعد الامتحانات. انخرط فى العمل وابتعد، لكنها كانت تشعر بنوع من الانتماء إليه، ولدت فاتن رابطة بينهما، ماذا يحمل لها القدر القاسى بعد ذلك؟ ... تخشى أن تفكر فى مصيرها ... تطرح جميع الأفكار جانبا وتعيش حياتها لحظة بلحظة ... لا تملك ترف التفكير فى المستقبل ولا تنتظر شيئاً منه. تنغمس فى رعاية فاطمة وعلى وتختص الوليدة فاتن بالاهتمام والرعاية.

fb/mashro3pdf

(٦١)

وقع خبر إلغاء امتحانات الثانوية العامة وإعادتها مرة أخرى وقع الصاعقة على الجميع. أذاع راديو إسرائيل امتحانات الثانوية العامة فى تصرف وضيع وغير مسبوق فأضاع جهد آلاف التلاميذ ورجاءهم دون طائل. أصيب طلاب الثانوية العامة وأسرهم بإحباط شديد وضاعت الإجازة الصيفية من الجميع. تجمع الأصدقاء فى محل وليم الصائغ لمواساته. سيضطر ابنه سعيد للاستعداد مرة أخرى لامتحانات الثانوية العامة المعادة رغم تفوقه وأمله فى مجموع مرتفع، كان الرجل حزينا عندما قال له الأسطى توفيق مواسياً:

– رب ضارة نافعة يا وليم، من يدرى، لعلها فرصة لسعيد يكون فيها أكثر استعدادا للامتحانات.

أجاب وليم حزينا:

– الولد لا يستطيع الاقتراب من الكتب. لقد بذل مجهوداً كبيراً ولا أدرى كيف سيتمكن من مواصلة الاستذكار.

قال رشدى بانفعال:

– الإسرائيليون أولاد الكلب، ليس عندهم رحمة، هل يحاربون الأولاد الصغار؟!

قال عم عثمان فى عصبية:

– الله يخرب بيت أبوهم. ناس خسيسة.

علق رشدى بثقة:

– جمال عبد الناصر لن يترك هذه الواقعة تمر على خير.

استمر الجميع فى مواساة وليم الصائغ والرجل فى غاية من الحزن على ضياع مجهود سعيد.

(٦٢)

كان فاروق يعد نفسه للقيام برحلة إلى سوريا، لقد انتظمت تجارته بمصر والخطوة التالية هى دراسة إمكانية تطور النشاط. سوريا سوق جيدة والتجار السوريون مشهود لهم

fb/mashro3pdf

بالكفاءة والاقتدار. قد يسعده الحظ بالتوفيق فى نشاط تجارى بين البلدين.

بينما كان فاروق يستعد للسفر، وقعت كارثة انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة. صدمة أصابت الجميع بالوجوم. تبخرت الأحلام القومية بالوحدة العربية، والتى نمت وملأت الأفئدة بالفخر والرجاء بعد إتمام الوحدة بين مصر وسوريا. حزن ثقيل جثم على صدر الجميع رغم كل الانتقادات التى وجهت إلى سرعة إتمام الوحدة، خشية عليها من التعثر. لقد تمت الوحدة وزرعت الأمل فى النفوس بدولة عربية واحدة. تبخرت الآمال واعتصر الألم قلوب الجميع كما انتهى مشروع فاروق قبل أن يبتدئ.

(٦٣)

لم يقنع فاروق بالتجارة وحدها بل بدأ يفكر فى دخول مجال المقاولات، عرض عليه خاله الحاج ربيع أن يقوما بشراء قطعة أرض بتقسيم جديد للأراضى فى حى امبابة. قاما بالمعاينة فقرر أن يشترى قطعة أرض خاصة له عندما وجد السعر مناسباً. استعان بمهندس دله عليه الحاج محمود السماك بعد أن أصبح زبوناً دائماً لديه. كان مكتبه بنفس البيت الذى يقع فيه دكان الحاج محمود.

قام المهندس بعمل التصميمات اللازمة وعرض عليه أن يشرف على تنفيذ العمارة مقابل أتعاب وجدها فاروق مناسبة. أخذ فى اعتباره عدم خبرته فى مجال المعمار وأن وجود المهندس سيكون فرصة لكى يتشرب منه حرفة المعمار وليعتاد التعامل مع العمال ويعرف أسرار المهنة.

حرص فاروق على التواجد فى كل خطوات التنفيذ. الحفر وصب الأساسات ثم الارتفاع بالبناء ومراحل تشطيبه المختلفة، حتى إتمام التنفيذ. كان يحاسب العمال ويقاولهم بنفسه بالاستعانة بالمهندس، يعرف أماكن تجمعهم فى المقاهى التى يتجمع فيها أهل الحرفة الواحدة ويدرس جيدا كل ما يتعلق بالمهنة.

ارتفع البناء المكون من ثلاثة طوابق وفاروق قد أتقن حرفة المعمار قبل أن ينطلق فى مجال المقاولات.

fb/mashro3pdf

يدهم الموت الحياة بطغيان خاطف كما لو كان يثأر لتناسى الأحياء له. لا يمل من طغيانه الكاسح، ولا يقلع الأحياء عن النسيان والتغاضى.

تلقت الست فتحية النبأ بصرخة من الأعماق. اتصال هاتفى من الإسكندرية بعد أن غادر عوض افندى المنزل فى طريقه إلى الوزارة.

– البقية فى حياتك، سامى افندى توفى بالسكتة القلبية فجر اليوم.

انهارت الست فتحية على المقعد فى ذهول. تجمدت الدموع فى عينيها. استمرت لبرهة على حالتها ثم سرعان ما استجمعت أعصابها. انفجرت فى البكاء وهى تتصل بعوض افندى فى الوزارة.

– عوض ... احضر فوراً، سامى توفى بالسكتة والجنازة اليوم.

نزل الخبر كالمطرقة على عوض افندى. لم يرد عليها ووضع سماعة التليفون. التف حوله زملاؤه فى القسم. لا تصلح كلمات المواساة فى مثل هذه المواقف. عرض زميله عبد الحميد افندى أن يصطحبه إلى المنزل. قبل عوض افندى ممتناً دون مقاومة. كانت قدماه تحملانه بصعوبة وجسده ينتفض بشدة.

غادر المنزل مع زوجته بمجرد وصوله، توجها إلى محطة القطار فركبا القطار المتجه إلى الإسكندرية التى وصلا إليها بعد الثانية ظهراً. استقلا تاكسى إلى شارع الإسكندرانى بمحرم بك. لم يلحقا بالجنازة ووجدا المعزين بالمنزل.

دخلا إلى سعاد مهرولين وهما فى غاية اللهفة عليها، طمأنهما الحاضرون بأنهم منعوها من الذهاب إلى المقابر نظراً لإعيائها الشديد. تلقت سعاد الصدمة بمفردها.

عندما نهض زوجها سامى من نومه وهو يصرخ من الألم ويتنفس بصعوبة، كان يشهق شهقات متتابعة من صعوبة التنفس، ارتبكت سعاد وجرت إلى المطبخ لتحضر له كوباً من الماء. عادت فوجدته قد فارق الحياة. انتابتها نوبة من الصراخ الهستيرى وتسمرت فى مكانها. لم تستطع التحرك إلى باب الشقة عندما تجمع الجيران وأخذوا فى طرق الباب دون جدوى حتى اضطروا إلى كسر الباب عنوة.

fb/mashro3pdf

أخذت الست فتحية تستمع إلى تفاصيل ما حدث وهى تحتضن سعاد الغائبة عن الوعى فى فراشها. انسالت الدموع من عينيها وهى تحتضن ابنتها وتربت عليها فى حنان وحزن عميق.

مصيبة كبرى حلت بابنتها ... لم تكمل الثلاثين من عمرها ... أيحكم عليها بالترمل وهى فى هذه السن المبكرة ... ما كل هذه النوازل التى تحل بهم ... لقد تقبلوا مشيئة الله بعدم إنجاب سعاد !!... «ألم يكن ذلك كافياً؟ ... أستغفر الله العظيم ... سامحنى يارب ... أكاد أجن».

(٦٥)

مكثت الست فتحية بالإسكندرية مع سعاد إلى ما بعد الأربعين. مر الأسبوع الأول بعد الوفاة وسعاد فى حالة من الذبول والإعياء الشديدين. لم تكن تبكى. صمت وذهول دائمان. حضر فاروق ظهر اليوم التالى للوفاة واستأذن عائداً إلى القاهرة فى المساء متعللاً بظروف العمل.

قدم عوض افندى طلباً بإجازة لمدة شهر من رصيد إجازاته لازم فيه الست فتحية وسعاد بالإسكندرية ليستقبل المعزين وليرعى سعاد ويؤنس وحدتها مع الست فتحية. بدأت سعاد تدريجياً فى استعادة القدرة على البكاء مما ساعد على التنفيس عن حزنها المكبوت.

(٦٦)

عزيزة هى الأمل القديم لمسعد الحلاق صبى الأسطى توفيق. أحبها قبل أن تتزوج من محمود الكهربائى لكنه لم يجرؤ على التفكير فى التقدم لزواج ابنة الأسطى الذى يدين له بالولاء والحب والاحترام.

مسعد شاب طيب متوسط الذكاء لكنه مجتهد فى عمله ومحبوب من الجميع. تجدد أمله بعد طلاق عزيزة من محمود الكهربائى. هو خجول متردد. وقع عليه خبر

fb/mashro3pdf

تقدم فاروق لعزيزة وزواجه الخاطف منها كالقضاء والقدر فقبله بنفس راضية وأسى شفيف.

بعد طلاق عزيزة الثانى من فاروق، قرر ألا ينتظر بعد انقضاء شهور العدة وأن يطلب عزيزة من الأسطى توفيق. استجمع مسعد شجاعته وفاجأ الأسطى توفيق متسائلا فى خجل عظيم وبصوت يكاد لا يسمع:

– هل تقبلنى زوجاً لعزيزة يا عم توفيق؟

فاجأ مسعد الأسطى توفيق الذى لم يفكر مطلقا فى مسعد لعزيزة، أجابه وهو يلملم فرحة سرت فى أعماقة:

– أنت ابن حلال يا مسعد وتتمناك أى بنت. سأشاور عزيزة وأرد عليك.

ارتبكت عزيزة عندما أبلغها والدها برغبة مسعد فى الزواج منها. انتابتها مشاعر متباينة. هى تحب فاروق لكنه طلقها لأنها لا تناسبه. مسعد شاب طيب وشهم. أفاقت على صوت أبيها وهو يقول لها:

– هذه فرصة ممتازة يا عزيزة. مسعد تربيتى. رجل شهم ومستقيم وقلبه كبير وسأكون مطمئناً عليك معه.

أطرقت فى صمت ثم تمتمت:

– كما ترى يا أبى.

(٦٧)

كانت فرحة غامرة بين الأصدقاء فى الحى. فرحة محت ذلك الأسى والوجوم والتسليم عندما تقدم فاروق لعزيزة وتزوجها ذلك الزواج الصورى الخاطف، ثم طلقها دون أن يراعى وجود طفلة له منها. كان ظلماً قاسياً على عزيزة ابنة صديقهم الطيب الأسطى توفيق. ها هو الله الرحيم يعوض صبرها بمسعد، ذلك الشاب الطيب الودود، ذو القلب الكبير. تم الزواج بسرعة بعد احتفال محدود شارك فيه الأهل والأصدقاء.

انتقلت عزيزة والأولاد إلى شارع الترعة البولاقية، حيث يسكن مسعد مع والدته

fb/mashro3pdf

الضريرة، الست زينب التى يتكفل بها منذ وفاة والده قبل ثمانى سنوات.

كان مسعد قد اشترى غرفة نوم جديدة من دمياط وهو يعد الشقة لمقدم عزيزة والأولاد. فاتحته عزيزة برغبتها فى شراء تليفزيون. اشترى مسعد التليفزيون من المبلغ الذى تجمع لهم كنقوط بعد الزواج. بدأ التليفزيون فى الانتشار بعد بداية إرساله ببطء فى مبدأ الأمر، لا يقدر على ثمنه إلا متيسرو الحال، ثم سرعان ما أخذ فى الانتشار السريع وأصبحت معظم البيوت لا تخلو منه. انتشر التليفزيون فى المقاهى أيضاً وتحلق حوله الناس، خاصة لمشاهدة مباريات كرة القدم. لم يعد الذهاب لمشاهدة مباريات الكرة بالملاعب ضرورياً. يتجمع الناس فى البيوت والمقاهى لمتابعة الكابتن لطيف وهو يقوم بالوصف التفصيلى للمباريات، مع شرح واف لقانون اللعبة وأسرارها. استوعب الجميع الأوفسايد والضربة الحرة غير المباشرة وتجادلوا بخصوصها. تتجمع عزيزة والأولاد والست عنايات، التى تزور عزيزة بانتظام، يتجمعون جميعاً حول التليفزيون ويحكون للست زينب ما لا تستطيع رؤيته ويقضون أمسياتهم فى مرح ورضى واكتفاء.

(٦٨)

بعد انقضاء الأربعين، حاولت الست فتحية وعوض افندى إقناع سعاد بترك الإسكندرية والعودة للإقامة معهما بالقاهرة. أصرت سعاد على الإقامة بشقتها بالإسكندرية ورعاية البيت الذى كتبه المرحوم سامى باسمها. دخلها من البيت ومن معاش سامى كان يكفيها لتعيش حياة كريمة، ترك المرحوم سامى أيضاً مبلغاً مدخراً بدفتر التوفير لكى يكون لها عوناً فى المرض والأزمات. لم ينجحا فى أن يثنياها عن عزمها فاستسلما لرغبتها مع تعهدها لهم بزيارتهم فى القاهرة بانتظام.

(٦٩)

تكلمت الست فتحية مع فاروق فى ضرورة ترتيب حياة فاتن. لا يصح أن تنشأ البنت فى بيت رجل غريب بعد زواج عزيزة من مسعد. لم يحسب فاروق حساباً لهذه

fb/mashro3pdf

المفاجأة. ذهنه مشغول بأعماله دائماً ووقته مشحون بالمشاغل والهموم ماذا يفعل؟ ... هو لا يستطيع أن يتحمل مسئولية فاتن. هل تستطيع أمه أن تقوم بتربيتها ورعايتها؟ ... تساءل فاروق فى حيرة بعد أن وعد الست فتحية بالتفكير فى الأمر.

للمرة الأولى يشعر أن فاتن تشكل عبئاً عليه. ماض ثقيل الوطء. لا يجب أن يشغله شاغل عن انطلاقه نحو طموحاته غير المحدودة. ماذا يفعل بالطفلة.

(٧٠)

استقل فاروق إكسبريس الإسكندرية الصباحى وهو منفعل بالفكرة التى طرأت على ذهنه. سيعرض على سعاد أن تتولى رعاية فاتن وتربيتها. لم يرزقها الله بأطفال وتحيا بمفردها. قد تروق لها الفكرة فتكون بذلك حلاً ناجحاً لجميع الأطراف.

تسللت مشكلة فاتن بعيداً عن ذهنه وهو ينظر إلى أعمدة التلغراف وهى تمرق أمامه بسرعة. بدأ يفكر فى مشروع سفره إلى ليبيا الذى اقترحه عليه الحاج مفتاح الليبى صديق خاله الحاج ربيع. الحاج مفتاح يتردد على القاهرة كثيراً وينزل بفندق فى العتبة. يعمل بالتجارة ويجيء إلى القاهرة لأخذ بضائع من الموسكى يحملها معه إلى ليبيا. تحدث الحاج مفتاح كثيراً مع فاروق عن فرص العمل بليبيا. عرض عليه أن يشاركه فى مجال المقاولات بليبيا عندما عرف بأنه يعمل فى مجال المقاولات. الفرص كثيرة والعمل متاح. كانت الفكرة تداعب فاروق عندما داهمته مشكلة فاتن. كان يفكر جدياً فى تصفية أعماله بمصر وجمع مبلغ محترم يسافر به إلى ليبيا بحثاً عن فرص أفضل للعمل. طموحاته لا تحدها حدود. لم يقنع بما حققه فى مصر ولا يؤمل فى النمو بمصر كما يحب، خاصة بعد صدور القوانين الاشتراكية وقرارات التأميم.

(٧١)

استقبلت سعاد أخاها فاروق بفرحة من يحيا وحيداً ثم تجود عليه الأيام برؤية الأحباب. احتضنها طويلاً وهو يربت عليها. ترقرقت دمعة فى عينيها عندما استقبلت

fb/mashro3pdf

دفء الحنان واحتواء العناق. دعته إلى الدخول وهى تبادره بالسؤال:

– كيف حال ماما وبابا؟

– الحمد لله ... الجميع يرسلون لك السلام.

استأذنته فى الذهاب لتحضير الشاى ثم عادت وهى تستفسر:

– أين فاتن الآن؟

– مع والدتها.

– وهل ستتركها مع زوج أمها؟

أجابها فاروق وهو يزفر زفرة حارة:

–الحقيقة أننى فى حيرة شديدة.

ردت سعاد مستنكرة:

– لا يصح أن تتركها هناك. تفاهم مع أمها.

رد عليها فاروق:

– المشكلة ليست فى الأم.

سألته سعاد متعجبة:

– ما هى المشكلة إذن ؟!

أجابها فاروق باقتضاب:

– ماما تقدمت فى العمر ولا تستطيع رعايتها.

رانت لحظات من الصمت على المكان. تريث فاروق فى عرض أمر رعايتها لفاتن. فضل أن يترك الفرصة قليلا لاحتمال أن تعرض سعاد التكفل برعاية فاتن. هو يفكر كرجل أعمال. المعاملات عرض وطلب. والطلب أفضل موقفاً من العرض. حدث ما كان يأمله عندما قطعت سعاد الصمت متسائلة:

– لماذا لا تحضرها لتقيم معى بالإسكندرية؟

أجابها متصنعاً التعفف:

fb/mashro3pdf

– سيكون ذلك قيداً لك.

أجابته سعاد على الفور:

– لم يرزقنى الله بأطفال وستكون ونيسة لى.

أجابها كالمتردد:

– سيسعدنى جداً وجودها معك، لكنى لا أرغب فى إرهاقك.

حسمت سعاد الأمر بإيجابيتها:

– فاتن على الرحب والسعة.

رد عليها فاروق بامتنان واضح:

– ستكون خدمة منك لن أنساها ما حييت.

أنهت سعاد النقاش قائلة:

– تكلم مع أمها وأنا فى انتظارها.

(٧٢)

مرت الست فتحية على صالون الأسطى توفيق الحلاق بعد عودتها من الموسكى. بادرته بالتحية وهى تقول له:

– أنا وعوض افندى نريد الحديث معك فى موضوع.

– تحت أمرك يا ست فتحية.

– هل يمكن أن تمر علينا اليوم.

– إن شاء الله. هل الساعة السابعة وقت مناسب؟

– فى انتظارك.

صعد الأسطى توفيق فى تمام السابعة إلى منزل عوض افندى. بعد التحيات والمجاملات بدأت الست فتحية الموضوع قائلة:

fb/mashro3pdf

– أنت تعلم أن ابنتى سعاد تعيش بمفردها بالإسكندرية بعد وفاة المرحوم زوجها. نريد استئذانك فى أخذ فاتن لتقيم مع عمتها وتؤنس وحدتها.

أجابها الأسطى توفيق بتأثر:

– نحن أسرة واحدة يا ست فتحية، فاتن الآن تعيش مع أمها على الأقل. ستكون فى الإسكندرية محرومة من الأب والأم.

ردت عليه الست فتحية على الفور:

– عمتها مثل أمها وستكون فاتن ابنة لها بعد أن حرمها الله من الذرية.

تفكر قليلاً ثم قال:

– أشاور عزيزة بعد إذنك.

أجابت الست فتحية مؤكدة على كلامه:

– هذا أمر ضرورى طبعاً. شاورها وأقنعها بأن فى ذلك مصلحة لفاتن. كما أنها ستخفف الحمل عن عزيزة والأسطى مسعد.

(٧٣)

استأذن الأسطى توفيق فى الانصراف. مشاعر شتى تعتمل بداخله. عزيزة متعلقة بالبنت كأم لكن الحمل ثقيل على مسعد. تحمل عزيزة وأطفالها الثلاثة، رجل شهم وكريم ولكن الحياة صعبة. كيف يمكنه فى المستقبل القريب أن يكون مسئولاً عن أطفال عزيزة من محمود ومن فاروق، ثم عن أطفاله هو. أخذت الأفكار تتصارع داخله وهو فى طريقه إلى الترعة البولاقية ليشاور عزيزة فى الأمر.

بكت عزيزة بشدة عندما شعرت بخطر حرمانها من فاتن. انتفضت فيها كل مشاعر الأمومة. فاتن ابنتها وهى الأحق بها. لن يصبر أحد على رعايتها مثلها هى. قالت وهى تبكى بحرارة:

– فاتن ستبقى معى.

طيب الأسطى توفيق خاطرها وقال لها وهو يهم بالانصراف:

fb/mashro3pdf

– اطمئني وفكري على مهل.

ردت عزيزة في رجاء مكررة:

– فاتن ستبقى معي.

طمأنها الأسطى توفيق قائلاً:

– لن يحدث شيء بدون موافقتك.

(٧٤)

بدأت عزيزة تشعر بأعراض الحمل. اهتز وجدان مسعد بالفرحة الغامرة عندما أبلغته عزيزة قبل أن يغادر المنزل متجهاً إلى الصالون. احتضنها في حنان واحتواء ورجاها أن تعتني بنفسها إكراماً له وللطفل المنتظر. انطلق إلى الصالون ففتحه وانتظر الأسطى توفيق باشتياق وقلق. وقف على باب الدكان ينتظر الأسطى توفيق. لم يكد يلمحه مقترباً حتى عدا إليه وهو ينبئه فرحا:

– عزيزة حامل يا عم توفيق.

فرح الرجل من قلبه لصبيه النبيل وهنأه بحرارة. بعد أن زال أثر المفاجأة، بدأ الأسطى توفيق يفكر مرة أخرى في موضوع مسئولية الأطفال على مسعد. تذكر طلب الست فتحية بخصوص فاتن. يجب أن يعاود الحديث مع عزيزة الآن، وخاصة أنها أصبحت حاملاً في طفل جديد. ستكون المسئولية كبيرة على مسعد. في فترة الهدوء التي تعقب الظهيرة، أبلغ الأسطى توفيق مسعد أنه سيمر على عزيزة لتهنئتها ثم يعود إلى الصالون مرة أخرى.

تحدث الأسطى توفيق مع عزيزة، التي بدأت تلين تدريجياً، في موضوع فاتن. كان لتفهم الست فتحية لأهمية عدم استعجال عزيزة في اتخاذ القرار دور أساسي في اطمئنان عزيزة وإحساسها بالأمان. عاود الأسطى توفيق الحديث معها عدة مرات. بعد أن هنأها بحملها الجديد قال لها متسائلاً:

– ألم يحن الأوان للموافقة على سفر فاتن لعمتها؟

fb/mashro3pdf

ردت عليه بأسى:

– قلبى لا يطاوعنى.

أجابها مشجعاً:

– عزاؤك أنها ستكون فى أحسن رعاية وستدخل أفضل المدارس.

(٧٥)

جاءت الست فتحية لتأخذ فاتن معها، تمهيداً لإرسالها إلى عمتها سعاد بالإسكندرية. أعدت لها عزيزة ملابسها، فى حقيبة جديدة أرسلها لها فاروق لتجهيز متعلقات فاتن. لم تكمل فاتن الرابعة من عمرها. كانت تشعر بالسعادة بين أمها وأختها فاطمة وأخيها على. كانت تسأل أحياناً عن أبيها الذى زارها مرات معدودات محملاً بالهدايا واللعب، لها وللأطفال. تفرح بالهدايا واللعب وتسأل عن أبيها كلما تذكرته. عندما تزوج مسعد من عزيزة وانتقلوا جميعاً إلى الترعة البولاقية قالوا لها، هذا عمك مسعد. قولى له يا عمى. يشرحون لها الآن أنها ستذهب عند عمتها سعاد. لم تفهم البنت ماذا يعنى ذلك بالضبط. اضطربت فاتن عندما بدءوا فى وداعها. عزيزة وفاطمة تبكيان وعلى ينظر إليهم فى ذهول. عندما همت الست فتحية بالرحيل ومعها مسعد يحمل لها الحقيبة صرخت فاتن وأفلتت من يد الست فتحية، انفجرت عزيزة فى بكاء مرير فدخلت الست فتحية مرة أخرى وارجأت انصرافها حتى تهدأ عزيزة.

(٧٦)

استقلت الست فتحية وفاروق ومعهما فاتن القطار فى اليوم التالى متجهين إلى الإسكندرية. استقبلتهم سعاد بفرحة وترحاب. حملت فاتن بين ذراعيها واحتضنتها بحرارة وحب. فاتن لا تتذكر عمتها سعاد جيداً. مرات معدودات تلك التى رأت فيها عمتها سعاد. إحساس بالغربة تكوّن عند فاتن الصغيرة. هى وسط أناس يغمرونها بالحب والاهتمام، لكنها تفتقد ماما عزيزة وفاطمة وعلى. حتى عمها مسعد تفتقده

fb/mashro3pdf

وكذلك تيته العمياء.

أحضر فاروق معه شهادة ميلاد فاتن حتى يقوم بتقديم أوراقها إلى المدرسة «الماير دو ديو» قبل أن يغادر الإسكندرية. كان يريد أن يرتب لها كل أمورها قبل أن يغادر الإسكندرية إلى القاهرة استعداداً للسفر إلى ليبيا. كان قد عزم أمره على السفر إلى ليبيا وأخذ فى ترتيب أوراقه قبل السفر. صباح اليوم التالى، توجه فاروق إلى مدرسة «الماير دو ديو» بحى وابور المياه وقدم أوراق فاتن قبل أن يغادر الإسكندرية إلى القاهرة ومنها إلى ليبيا.

(٧٧)

مكثت الست فتحية أسبوعاً بالإسكندرية حتى تطمئن على اعتياد فاتن على عمتها سعاد وعلى إقامتها بالإسكندرية معها. بدأت فاتن فى الاطمئنان إلى إقامتها الجديدة. بذلت سعاد مجهوداً فائقاً فى الاهتمام بها. تخرج معها كل يوم بعد الظهر وتشترى لها ما تشتهيه من الحلوى والآيس كريم قبل أن تعودا إلى المنزل. لقد ملأت فاتن حياة سعاد الرتيبة بعد وفاة زوجها المرحوم سامى. روت عطشها الدائم إلى الأمومة التى حرمها الله منها. عزمت الست فتحية على الرحيل بعد اطمئنانها على فاتن.

(٧٨)

مر فاروق على والديه ليودعهما قبل السفر إلى ليبيا. مر أيضاً على جاره وصديقه عمار. كان عمار فى حالة حزن وضيق. تزوجت صديقته منى قبل أسبوعين، مما سبب له غماً وضيقاً شديدين. كان شديد التعلق بها، رغم أن العلاقة لم تتعد الجلوس فى الشرفة والخروج كل أسبوع لمرافقتها فى زيارة جدتها بالفجالة. انقطع فاروق عن مصاحبته فى هذه اللقاءات، وصرف النظر عن علاقته الخاطفة بهالة أختها. كان فاروق عملياً ولم يقنع بهذه العلاقة المحدودة. انشغل فى مشكلة عزيزة ثم ابتعد عن البيت والحى وانغمس فى حياته العملية الطموح.

fb/mashro3pdf

(٧٩)

احتشد فاروق للتجربة الجديدة. هو الآن يبدأ مرحلة جديدة فى حياته العملية، ويأمل فى تحقيق أقصى درجات النجاح. صفى تجارته وجمع كل ما استطاع أن يجمعه من أموال. باع بيت امبابة، حتى يضمن أن يأخذ معه أكبر مبلغ ممكن. اتفق مع الحاج مفتاح على أن يعطيه هذه المبالغ بالقاهرة، ليدبر بها تجارته، مقابل أن يسلمها له الحاج مفتاح فى طرابلس بليبيا. استشار خاله الحاج ربيع، قبل أن يقدم على هذه الخطوة، فطمأنه إلى أمانة الحاج مفتاح وضمانه شخصيا له. لم يكن من المقبول لفاروق، أن يسلم كل ما جمعه من رأسمال لأحد، دون أن يكون فى تمام التأكيد من سلامة وأمان الترتيبات.

استقل فاروق سيارة أجرة إلى مرسى مطروح، التى قضى بها ليلته فى أحد الفنادق قبل أن يتوجه إلى السلوم. بعد إنهاء إجراءات الجمارك، انتقل إلى بلدة مساعد على الحدود الليبية. أنهى إجراءات الدخول إلى ليبيا ثم استقل سيارة إلى مدينة بنغازى. قضى ليلته بمدينة بنغازى ثم استقل سيارة أخرى إلى طرابلس. كان التعب قد أنهكه. الطريق طويل وممل، خاصة بين بنغازى وطرابلس. ما يقرب من ألف كيلومتر فى الصحراء الموحشة. نزل بأحد الفنادق فى طرابلس وقضى ليلته فى نوم عميق قبل أن يذهب إلى الحاج مفتاح فى صبيحة اليوم التالى. كان الحاج مفتاح قد سافر من القاهرة قبله بيومين على اتفاق باللقاء فى طرابلس.

(٨٠)

نهض فاروق فى الصباح وهو يشعر بإرهاق شديد بعد رحلته المضنية. تكاسل فى فراشه قليلاً ثم تذكر ما وراءه من ترتيبات قبل أن يبدأ عمله بليبيا. يجب أن يذهب إلى الحاج مفتاح لدراسة الأوضاع وتخطيط خطوات العمل. كما أنه يحتاج إلى استئجار مسكن مناسب له. يريد أيضاً أن يدرس موضوع شراء سيارة حتى تسهل له العمل.

fb/mashro3pdf

قفز من فراشه واستعد لمغادرة الفندق. استقل سيارة تاكسى وأعطى السائق عنوان الحاج مفتاح، شارع بن عاشور. استقبله الحاج مفتاح بترحاب بالغ، بعد تقديم واجبات الضيافة، دخل فاروق إلى الموضوع قائلا:

– أريد استئجار شقة للسكن يا حاج مفتاح.

أجابه الحاج مفتاح:

– توجد شقة ممتازة فى بيت يملكه أحد الأصدقاء.

سأله فاروق:

– هل هى قريبة من وسط المدينة.

– نعم، فى حى الظاهرة، قريبة من وسط المدينة ومن مكتبنا هنا.

تساءل فاروق:

– ترى متى يمكن أن أعاينها؟

أجابه الحاج مفتاح على الفور:

– سنذهب إليها الآن.

أخذه الحاج مفتاح فى سيارته وذهبا إلى حى الظاهرة القريب حيث قابلا صديق الحاج مفتاح. اتفقا على استئجار الشقة وتسلمها فوراً.

أعاره صديق الحاج مفتاح مالك العقار بعض الأثاث لحين ترتيب أموره وشراء لوازمه. سرير صغير وصالون وبعض أدوات المطبخ. عاد فاروق إلى الفندق بصحبة الحاج مفتاح. دفع حساب الفندق وأخذ متاعه ثم توجها مرة أخرى إلى شقته الجديدة.

(٨١)

جهز الحاج مفتاح حجرة لفاروق بمكتبه. أنهى إجراءات الإقامة له وساعده على ترتيب حياته الجديدة بطرابلس.

فتح فاروق حساباً بمصرف الأمة الذى يتعامل معه الحاج مفتاح وأودع فيه نقوده

fb/mashro3pdf

التى استلمها منه. نزل مع الحاج مفتاح إلى سوق السيارات المستعملة، اشترى سيارة فيات صغيرة وبحالة جيدة. نظم حياته سريعاً بكفاءته المعهودة واحتشد بكل طاقاته الخلاقة لبداية العمل.

(٨٢)

بدأ فاروق بجمع المعلومات عن الأعمال المتاحة بليبيا. عرف أن المشروعات الجديدة يتم طرحها عن طريق وزارة الإسكان. لاحظ أيضاً وجود العديد من شركات البترول الأمريكية والأوربية. علم أن هذه الشركات مصدر هام للمشروعات.

بدأ التخطيط للعمل بإنشاء شبكة من العلاقات بمساعدة الحاج مفتاح ومعارفه. كوّن هو أيضاً شبكة من المعارف خاصة به. لم يدع فرصة للتعارف تمر دون أن يوطد علاقته بالمزيد من المعارف. أسس شركة للمقاولات والتجارة مع الحاج مفتاح وانطلق فى السعى للفوز بأول مشروع يدخل به إلى مجال النشاط الفعلى.

جاءته الفرصة عندما تم ترسية عطاء إنشاء مدرسة على شركتهم. بعد توقيع العقد، اتفق فاروق مع المهندس أسامة المشرف على تنفيذ المشروع، على أن يعمل معه بعد إنهاء مواعيد عمله كعمل إضافى له. المهندس أسامة مهندس يعمل بوزارة الإسكان، مصرى ويعمل بليبيا منذ خمس سنوات. سيعمل معه كموظف بشركته فى الخفاء ويشرف عليه فى تنفيذ المشروع كمهندس بوزارة الإسكان. يضمن بذلك سير العمل بدون عقبات مع سرعة صرف مستحقاته عن المشروع.

(٨٣)

تم قبول فاتن بمدرسة «المير دو ديو». تحضر سيارة المدرسة كل صباح لتأخذها. تستيقظ سعاد مبكرة لإعدادها للذهاب إلى المدرسة. تنزل معها وتنتظرها حتى تحضر السيارة ثم تصعد لمعاودة النوم. كانت سعاد تقوم بذلك برضى ودون إحساس بالعبء. ارتبطت بفاتن، أحبتها وشعرت معها بمشاعر الأمومة التى حرمت منها.

fb/mashro3pdf

تلقت فاتن تجربة المدرسة بارتباك ورهبة. فارق كبير بين الحياة السلسة التلقائية التى كانت تحياها مع أمها وأخويها فى الترعة البولاقية منذ أشهر قليلة وحياة مدارس الراهبات الصارمة. تأقلمت مع المدرسة وانضباطها الشديد بصعوبة ومعاناة. كانت تشعر دائماً بالقهر. تقف فى طابور الصباح مع زميلاتها، يصعدن إلى الفصول فى صفوف منتظمة، يقمن بالصلاة ويرددن بسرعة كلاماً لا تفهمه. كل شيء بنظام صارم. كانت هناك حصص للنوم تجبر البنات فيها على النوم طوال الحصة أو التظاهر بالنوم. تسند رأسها إلى ساعدها وتغمض عينيها. يجب أن تنام. من لا تنام تعاقب. العقاب قاس ومهين. المخطئة تقف إلى جدار الفصل ووجهها يواجه الجدار وزميلاتها يتهامسن. الخروج إلى الفسحة بنظام أيضاً. يجب أن يصطف الطابور بالفصل قبل النزول إلى الفناء. القصيرات فى مقدمة الصف والطويلات فى المؤخرة. تنزل الفصول بالترتيب. يجلسن فى صالة الطعام بنظام، الصلاة مرة أخرى قبل الأكل. برنامج صارم للأكل، لكل يوم وجبة خاصة. يوم الثلاثاء للكوسة ويوم السبت يقدم الآيس كريم بعد الأكل.

كرهت فاتن المدرسة ونظامها الصارم، ثارت بداخلها على كل ذلك القهر. لم تستطع أن تقبله فى جميع مراحل الدراسة وإن اضطرت للانصياع إليه وقبوله على مضض. كانت تحن إلى شيء لا تدريه وهى تحيا حياتها الرتيبة المنضبطة، فى سنواتها الأولى كانت تبكى كثيراً دون سبب واضح، كانت تحب عمتها سعاد لكنها كانت دائما تشعر بالحنين وتنتابها حالات من القلق والتململ.

(٨٤)

وضعت عزيزة طفلتها الأولى من مسعد. اختار لها مسعد اسم ليلى. كان مسعد مغرماً بليلى مراد. يدندن دائماً بأغنياتها.. «باحب اتنين سوا .. يا هنايا فـ حبهم .. اليه .. والهوا» .. أحبت عزيزة الاسم وفرحت بالطفلة فرحاً مضاعفاً. كان قلبها يتمزق لفراق فاتن فشغلتها ليلى والاهتمام بها عن الحزن الدائم على فاتن. كانت تزور فاتن

fb/mashro3pdf

كل شهر بمصاحبة مسعد. يستقلان قطار الصباح، يزوران فاتن ويعودان فى المساء. كانت فاتن تتعذب لفراق أمها فى البداية. تباعدت الزيارات بعد مقدم ليلى وانشغال عزيزة بمشاغل تربية الأبناء.

(٨٥)

شب صغار عزيزة وازدادت مشاكلهم. لم تتفوق فاطمة فى دراستها. كانت طفلة مشاكسة ولا تحب الدراسة. مدللة كطابع الطفل الأول. أكملت المرحلة الابتدائية بصعوبة وامتنعت عن إكمال دراستها. اقترح مسعد على عزيزة تعليمها التفصيل. تذكرت عزيزة محنتها مع تعلم التفصيل طرف الست فتحية وما جرى لها على أيدى فاروق فتوجست. أبلغها مسعد أنه توجد معاهد متخصصة لتعليم التفصيل وأنه سيتكفل بمصاريفها. مسعد رجل شهم ومسئول. بدأت فاطمة دروس التفصيل بأحد المعاهد . لم تتقدم فى دروس التفصيل، تحدث مسعد مع عم كامل صاحب محل الخردوات فقبل أن يأخذها لتساعده فى الدكان. فرحت فاطمة بعملها الجديد بدكان عم كامل حيث تخلصت تماما من المدرسة ومحاولات تعليمها التفصيل.

(٨٦)

تحدث الحاج مفتاح مع فاروق بخصوص مشروع إسكانى كبير بمدينة البيضاء بالجبل الأخضر. مدينة البيضاء هى مقر الملك وبها الكثير من المشروعات. كانت المشكلة هى المسافة الطويلة بين طرابلس والبيضاء. مسافة تزيد على الألف كيلومتر. رحب فاروق بالمشروع فهو لا يعرف المستحيل. اتفقا على أن يذهبا معاً إلى مدينة البيضاء لمقابلة المسئولين ودراسة المشروع. استقلا سيارة الحاج مفتاح فجر اليوم التالى وتوجها مباشرة إلى مدينة البيضاء.

(٨٧)

تتوجه سعاد كل شهر لاستلام معاشها من وزارة الزراعة. يرحب بها كمال ترحيباً خاصاً تفهم الأنثى مغزاه ولكن فى حدود اللياقة والأدب. الأستاذ كمال هو موظف

fb/mashro3pdf

الخزينة بوزارة الزراعة. ينتهز كمال الفرصة المحدودة المتاحة له فى فتح شتى الأحاديث العابرة مع سعاد. علم منها بعد عدة مرات أنها تسكن فى شارع الإسكندرانى بمحرم بك فأبلغها أن عمه يسكن فى نفس الشارع. أكثر كمال من التردد على بيت عمه بشارع الإسكندرانى لعل الحظ يسعده ويلتقى بسعاد مصادفة. مرت أشهر عديدة دون أن تتدخل المصادفات ليلتقى بها.

اهتمام كمال بها حرك فيها الأنثى. الحرمان المبكر والاهتمام اللبق جعلاها تتذكر كمال كثيراً بين مواعيد الذهاب لاستلام المعاش. ترى، هل هو متزوج؟ .. بدأت أفكارها تتجه نحوه حتى أنها حلمت به فى إحدى الليالى فى موقف غرامى معها.

بدأت تنتظر مقدم الشهر بصبر نافد. تتطلع لموعد استلام المعاش، فى اليوم الأول من الشهر تنهض من نومها مبكرة فى نشاط ملحوظ. تتزين باهتمام وترتدى أجمل ثيابها. تتجه صوب وزارة الزراعة فى توثب وفرح دفين.

دخلت سعاد إلى وزارة الزراعة وتوجهت إلى الخزينة. لم يكن كمال موجوداً بحجرة الخزينة. وجدت شخصاً آخر فشعرت بانقباض وغضب مشوب بالحزن. استلمت معاشها وغادرت الوزارة وهى تتلفت باحثة فى الغرف التى تمر عليها، علها تصادفه. سارت فى طريقها محبطة بدون وجهة محددة. سربلها القلق فأفقدها الاتجاه. كان كمال يراقبها من على البعد. قدم طلب إجازة فى ذلك اليوم وهو ينتوى أن ينتظر خروجها من الوزارة، ثم يسير خلفها حتى يلحق بها، فيفتعل مناسبة للقاء عابر. حث الخطى حتى يلحق بها، عندما حاذاها نظر إليها مفتعلاً الدهشة وهو يقول فى سعادة بادية:

– مدام سعاد! .. مفاجأة سعيدة.

خفق قلبها بشدة وهى تفاجأ بكمال. ردت فى تلقائية وارتباك:

– الأستاذ كمال! .. أين كنت اليوم؟

أجابها وقد شعر بلهفتها:

fb/mashro3pdf

– طلبت إجازة اليوم لإنهاء بعض المصالح.

سارا معاً فى الطريق يتبادلان الأحاديث المتنوعة. لم تمانع سعاد، بدا عليها الترحيب بلقائه ومصاحبته لها. استجمع كمال شجاعته ودعاها إلى فنجان شاى بمحل تريانون، قبلت دعوته على الفور دون تردد.

(٨٨)

توسعت أعمال فاروق فى المقاولات بليبيا بعد أن فاز بمشروع إسكان البيضاء. أسس فرعاً للشركة بمدينة البيضاء وتعاقد مع المهندس زين ليشرف على المشروع. زين مهندس فلسطينى يقيم بليبيا منذ سنوات وله علاقات جيدة.

تجلت مهارة فاروق ومواهبه فى السيطرة على مشروعاته المختلفة والمتباعدة. تعاقد على مشروعات متفرقة بمدن بنغازى ومصراته وحتى زوارة على الحدود التونسية بالإضافة إلى طرابلس والبيضاء.

فتح فرعاً آخر للشركة فى بنغازى واستمرت أعماله فى النمو والنجاح. توطدت علاقته بالحاج مفتاح شريكه الذى كان يقدره ويكن له المحبة والامتنان. لم يكن الحاج مفتاح يتوقع هذا النمو والنجاح الذى حدث بفضل مهارة ونشاط شريكه فاروق.

بدأ فاروق فى الترتيب لاستيراد مواد البناء لمشروعاته. الأسمنت وحديد التسليح أولا ثم التوسع بعدها فى بقية مواد البناء. شرع يجمع المعلومات عن أفضل المصادر التى يمكن أن يستورد منها، تجمعت لديه بعض عناوين مكاتب التصدير والشركات بروما وأثينا فقرر أن يقوم برحلة تفقدية إليهما، لاتخاذ قرار نهائى ثم الشروع فى استيراد مواد البناء لحسابه.

(٨٩)

واظب فاروق على إرسال مصروفات فاتن لسعاد عن طريق بعض التجار الذين يفدون إلى مصر بانتظام. كان يرسل النقود إلى خاله الحاج ربيع، الذى يقوم بدوره

fb/mashro3pdf

بتسليمها إلى الست فتحية.

بدأت فاتن فى السؤال عن والدها. كانت سعاد تحكى عنه وتشرح لها أنه فى بلاد بعيدة اسمها ليبيا للعمل.

متى سيأتى بابا؟ .. كانت تردد دائماً هذا السؤال. كانت ترى أمها من آن لآخر ولكنها كانت تفكر فى أبيها وتتحرق شوقاً للقائه كلما ازداد إدراكها.

ازدادت تساؤلاتها مع مرور الأيام. لماذا لا يأخذنى أبى لأعيش معه بليبيا؟ .. لماذا تعيش ماما مع عمى مسعد؟.. لماذا تركها بابا؟ .. لماذا لا نعيش معاً؟ ... سيل من التساؤلات التى كانت فاتن تجهد بها سعاد. تحاول أن تبسط الأمور لها. أن تشرح لها فى حدود إدراكها المحدود. لم تتوقف فاتن عن تكرار أسئلتها بما يوحى بأنها لم تستوعب إجابات عمتها سعاد، أو على أقل تقدير، أنها ترفض من أعماقها تلك الإجابات والتبريرات.

(٩٠)

توطدت علاقة سعاد بكمال. تعددت لقاءاتهما واتصالاتهما التليفونية. تقدمت فاتن فى مدرسة «الماير دو ديو» وأصبحت تقضى النهار كله بالمدرسة. تعود إلى المنزل فى السابعة والنصف مساء. نظام المدرسة يقتضى استذكار الطالبات بالمدرسة بعد انتهاء الحصص.

غياب فاتن بالمدرسة حتى المساء أعطى سعاد بعض الحرية فى تحركها. يمكنها الآن أن تغيب عن المنزل حتى موعد عودة فاتن. تواصلت لقاءات سعاد وكمال. كانا يتفقان على اللقاء بعد موعد عمله. ينهى العمل بالوزارة وينطلق إليها فى التريانون أو ديليس. تعلقت سعاد به تعلقا جنونيا. كانت دائمة التفكير فيه. منذ أن تفتح عينيها فى الصباح وحتى تخلد إلى النوم. اعتادا أن يذهبا إلى السينما، حفلة الساعة الثالثة بعد الظهر، كانا يتخيران أحد الأركان الخلفية ويستغرقان معاً فى محاولة لإشباع رغبتهما المتأججة. كانت سعاد أكثر اندفاعاً منه. عندما اشتد احتياجها تجرأت ودعته إلى منزلها. أعطته العنوان وانتظرته بعد موعد انتهاء عمله. تسلل إلى منزلها بحذر

fb/mashro3pdf

وصعد إليها لاهثا بعد أن ارتقى الدرج بسرعة صاروخية قبل أن يلمحه الجيران. مكث عندها حتى موعد حضور فاتن وغادرها على اتفاق بأن يحضر إليها فى اليوم التالى، فى نفس الموعد.

(٩١)

حملت عزيزة بعد أقل من ستة أشهر بعد ميلاد ليلى. فرح مسعد بحملها وتمنى أن يكون المولود ذكراً. وضعت له عزيزة طفلة ثانية فحمد ربه على نعمته. اختارت لها عزيزة اسم ماجدة. انشغلت عزيزة برعاية ماجدة وليلى معاً وتباعدت زياراتها لفاتن بالإسكندرية. فى الزيارات القليلة التى قامت بها فاتن لوالدتها بصحبة الست فتحية، كانت تشعر بشعور لم تستطع فهمه فى سنها الصغيرة. أصبحت تشعر أنها لا تنتمى إلى ذلك المكان. تكيفت مع بيئتها الجديدة فى الإسكندرية مع عمتها سعاد وزميلاتها بمدرسة «الميرا دو ديو». عندما شبت قليلاً، كانت تأنف من دخول دورة المياه عند زيارتها لوالدتها بالترعة البولاقية. تعودت على النظافة الفائقة بالمدرسة وبمنزل عمتها سعاد وجدتها فتحية. نعم هذه أمها، لكنها لا تعيش معها. لقد نشأت معهم فى طفولتها المبكرة، لكنها أصبحت بعيدة عنهم الآن مكاناً وأحاسيس. قلت زيارات فاتن وسعاد إلى القاهرة اكتفاء بزيارة الست فتحية وأحياناً عوض افندى إلى الإسكندرية.

(٩٢)

يتحدث الجميع عن معارك الجيش المصرى باليمن وعن الصعوبات التى يلقاها من هجمات رجال القبائل المدعومة من المملكة العربية السعودية. اجتمع وليم والأسطى توفيق وراغب البقال وعم عثمان البواب لمواساة رشدى فى وفاة شقيقه الصول حسن باليمن. الصول حسن هو الأخ الأكبر لرشدى وقد ذهبت وحدته إلى اليمن منذ ما يقرب من العام. أب لولدين وبنت. الولد الأكبر بكلية التجارة والأصغر فى الثانوية العامة أما البنت فمازالت فى المرحلة الإعدادية. حزن رشدى لوفاته حزناً شديداً وضاعف من كربه إحساسه بالمسئولية عن الأولاد.

fb/mashro3pdf

(٩٣)

لم يجد فاروق الوقت الذى يمكن أن يخصصه لزيارة مصر. لقد صفى جميع الأعمال بها واتسعت أعماله بالخارج. تعددت سفراته إلى روما وأثينا أولاً ثم تنوعت إلى بقية العواصم الأوربية بعد أن توسع فى استيراد مواد البناء. سافر إلى لندن وباريس ومدريد ونوّع من مصادره التى يستورد منها مواد البناء. استأجر أولاً مخزناً كبيراً بطرابلس وآخر ببنغازى وبدأ نشاطه الجديد فى تجارة مواد البناء إلى جانب أعمال المقاولات.

انتقل للسكن فى ڤيلا بحى «چورچيومبوبولي» الراقى بطرابلس. ضاحية راقية لمدينة طرابلس معظم سكانها من الأجانب ويندر أن يسكن فيها أهل البلد. طرابلس عامة قطعة من أوربا وبها نسبة عالية من الأجانب خاصة الإيطاليين. مدينة مفتوحة كالمدن الأوربية ملأى بالمقاهى السريعة والحانات وأماكن اللهو. بدأ فى تعلم اللغة الإيطالية بمساعدة سكرتيرته الإيطالية كلوديا. اللغة الإيطالية مستعملة بكثرة فى طرابلس ويتعامل بها الكثيرون فى مجال الأعمال. ساعدته كلوديا كثيرا فى تعلم اللغة الإيطالية، وخاصة أنها تحضر إليه فى الڤيلا التى استأجرها بحى «چورچيومبوبولي» وتقضى العديد من الليالى معه. كانت فتاة رائعة الجمال، فى الثانية والعشرين من عمرها، زرقاء العينين ولها شعر أشقر ناعم يصل إلى خاصرتها. تتكلم بدلال أخاذ. كانت الكلمات الإيطالية تخرج من بين شفتيها كأنها أنشودة ساحرة. بعد عناء العمل الشاق طوال اليوم، كانت ممارسة الحب بالنسبة إلى فاروق هى السلوى المحببة إلى نفسه.

(٩٤)

«يا أهلاً بالمعارك ... يا بخت من يشارك ... بنارها نستبارك ... ونرجع منصورين ... ملايين الشعب تدق الكعب، تقول كلنا جاهزين..».

كان قرار سحب قوات الطوارئ الدولية من شرم الشيخ، وإغلاق مضايق تيران

fb/mashro3pdf

بخليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية هو البداية لدوران عجلة الحرب التى انتهت بهزيمة ٥ يونيو عام ١٩٦٧ ونهاية فترة الزهو القومى والوطنى خلال النصف الأول من فترة الستينيات.

تتابعت البيانات العسكرية تحمل البشرى للعرب بصوت الأستاذ أحمد سعيد من الإذاعة. أسقطنا عشرات الطائرات للعدو الإسرائيلى وقامت الحرب. عمت السعادة الجميع وأشفق البعض على إسرائيل التى أطبقت عليها الجبهات الثلاث، سوريا من الشمال والأردن من الشرق ثم مصر بقواتها المتفوقة والتى تدربت تدريبا شاقاً فى حرب اليمن من الجنوب. عندما أعلنت البيانات العسكرية عن الانسحاب إلى خط الدفاع الثانى وجم الجميع ثم انفرجت أساريرهم عندما أفتى البعض بأن ذلك الانسحاب هدفه إطالة خطوط إمداد الجيش الإسرائيلى لإجهاده وتمهيدا لاصطياده. بدأت أفواج الجنود تفد إلى محطة باب الحديد وهى عائدة فى حالة من الإعياء والانكسار فشعر الجميع بأن كارثة ما تلوح فى الأفق.

(٩٥)

عندما أعلن الرئيس جمال عبد الناصر عن تنحيه عن رئاسة الجمهورية وإسنادها إلى السيد زكريا محى الدين، انطلقت صرخات النسوة البسطاء من شرفات المنازل وانطلق الرجال عدواً من بيوتهم إلى الشوارع ملتئمين فى المظاهرات العارمة. الجميع يطالبون الرئيس عبد الناصر بالبقاء فى منصبه. شعر الجميع بأن كارثة قد حلت بالبلد وزلزلت أركانها، وأنه يجب أن يبقى فى منصبه ليواجه هذه الكارثة المروعة. جثم الحزن والضياع على الجميع واستمر عدة سنوات يعتصر قلوب الناس.

(٩٦)

اعتاد كمال أن يتردد بانتظام على منزل سعاد. مع مرور الوقت، أصبح لا يغادر المنزل قبل حضور فاتن من المدرسة. اعتادت فاتن على وجوده بعد أن قدمته لها سعاد على أنه قريب المرحوم زوجها. بعد أن تتناول فاتن طعام العشاء وتدخل إلى غرفتها

fb/mashro3pdf

للنوم، ينتظر كمال وسعاد حتى تنام فاتن ثم يدخلان إلى غرفة سعاد ويغلقان الباب. استيقظت فاتن فى إحدى الليالى على صوت عمتها سعاد وهى تصرخ صرخة مكتومة. انتفضت من فراشها وخرجت من غرفتها تستطلع الأمر. سمعت صوت كمال منبعثا من غرفة عمتها سعاد المغلقة، كان يقهقه ضاحكا وسعاد تتحدث إليه بصوت خفيض. لم تتبين فاتن كلمات عمتها. اقتربت بهدوء من الباب واسترقت السمع لعلها تسمع شيئاً. سمعت عمتها سعاد تصارح كمال بحبها. ازداد فضولها فنظرت من ثقب المفتاح. لمحت عمتها سعاد وكمال وهما عاريان تماما فى الفراش على ضوء الأباجورة الخافت. أنهى كمال تدخين سيجارته وهو متكئ على الفراش ثم استدار إلى سعاد فاحتضنها وهو يقبلها بحرارة. شعرت البنت بالرجفة تسرى فى جسدها عندما رأت كمال وهو يضاجع عمتها التى أخذت تتأوه بصوت خافت سرعان ما تحول إلى صرخة كالتى استمعت إليها من قبل.

انسحبت فاتن بهدوء عندما نهض كمال ليرتدى ملابسه استعداداً للانصراف. فيما بعد، كانت فاتن تحرص على التظاهر بالنوم فى الأيام التى يزورهم فيها كمال.

(٩٧)

دأب المصريون من رجال الأعمال بطرابلس على الاجتماع بنادى الجولف بعد هزيمة ١٩٦٧. لعله الشعور بالخطر والرغبة فى الائتناس ببعضهم البعض.

تعرف فاروق على المهندس عبد الهادى النجار، رجل الأعمال المصرى الذى يعمل أيضاً فى مجال المقاولات. عمل أيضاً فى مجال المقاولات فى مصر، قبل تصفية أعماله والسفر إلى ليبيا بمجرد صدور القوانين الاشتراكية وتأميم شركته بمصر. كان قد نجح فى تهريب مبلغ كبير من أمواله إلى الخارج قبل صدور قوانين التأميم بفترة وجيزة. نجحت أعماله فى ليبيا وأصبح من كبار المقاولين.

توطدت العلاقة بينهما رغم فارق السن الكبير، المهندس عبد الهادى النجار تجاوز الخمسين من عمره وله خبرة غنية فى مجال الأعمال. كان يشعر بالإعجاب تجاه

fb/mashro3pdf

فاروق لكفاءته ونجاحه الملموس فى أعماله بليبيا.

تعرف فاروق أثناء دعوة على العشاء بمنزل المهندس عبد الهادى النجار، على ابنته ملك. فتاة ذات نظرة أرستقراطية مترفعة وتضفى عليها جاذبية وعظمة، جمالها هادئ وشخصيتها واثقة. تطعم حديثها مع والدها ببعض الجمل الفرنسية من آن لآخر، تعطيك الانطباع بأنها تجيد الفرنسية أكثر من العربية كطابع خريجات المدارس الفرنسية.

تكررت الدعوات المتبادلة بين فاروق وأسرة المهندس عبد الهادى النجار. دعاهم على العشاء بمنزله وقبل دعواتهم له إلى منزلهم. فكر فاروق فى أن ملك تصلح كزوجة ممتازة. ابنة وحيدة وسترث كل ثروة أبيها كما أنها سيدة مجتمع من الطراز الأول ستشرفه فى مجتمعات رجال الأعمال.

(٩٨)

تقدم فاروق لخطبة ملك النجار. اتفقا على سرعة إتمام إجراءات كتب الكتاب والدخلة. لا يوجد مبرر للتأخير فالڤيلا مجهزة تجهيزا كاملاً بعد أن استورد لها أثاثها الفخم من إيطاليا. عندما استفسرت أسرة المهندس عبد الهادى النجار عن حضور عائلة فاروق من القاهرة، أفادهم بأنه سيرسل فى استدعائهم بمجرد تحديد الموعد. قبل موعد كتب الكتاب بأيام معدودة، أبلغ فاروق أسرة زوجته أن والديه قد أرسلا له اعتذاراً من مصر مع أحد معارفه القادمين إلى ليبيا، نظراً لاكتشاف مرض والده المفاجئ بحصوة فى الكلية، ومداهمة نوبات الألم الحادة له بشكل متكرر.

الحقيقة أنه لم يكن يصدقهم القول. عوض افندى ليس مريضاً ولا تداهمه نوبات الألم. هو لم يرسل لاستدعائهم ولم يبلغهم من الأساس بموضوع زواجه. لقد حجب عن أسرة زوجته موضوع ابنته فاتن. لم يشأ أن يغامر بأى احتمال لفشل هذه الزيجة. تم كتب الكتاب والدخلة وانتقلت ملك إلى ڤيلا فاروق.

fb/mashro3pdf

فى رحلة عمل إلى أوربا، فكر فاروق فى أن يقوم بزيارة خاطفة إلى مصر بعد انتهاء رحلته. تردد قليلاً بسبب حرب الاستنزاف الدائرة رحاها بين مصر وإسرائيل على الجبهة. حزم أمره فى النهاية وقرر السفر إلى مصر. الزيارة الأولى له منذ سفره إلى ليبيا. مرت سنوات وتغيرت أحوال. توجه بالطائرة من أثينا إلى القاهرة بعد أن أنهى أعماله.

استقل سيارة أجرة من المطار إلى منزلهم بجزيرة بدران. طرق الباب ولم يرد على الست فتحية والدته عندما استفسرت عن الطارق. ألجمت المفاجأة الست فتحية عندما واجهها فاروق ضاحكاً. احتضنته فى حرارة واشتياق وهى تلومه متسائلة:

– كل هذه المدة يا فاروق ؟!

وصل فاروق قبل نزول عوض افندى إلى المقهى. التأم شمل الأسرة لأول مرة منذ سنوات. افتقدوا سعاد وتمنوا وجودها بينهم. سأل فاروق فجأة:

– ما أخبار فاتن؟

أجابته والدته معاتبة:

– تسأل عنك دائماً. لقد أصبحت عروساً فى العاشرة. سرح فاروق بعيداً وهو يتذكر تلك السنوات التى مرت مروراً خاطفاً. عزيزة وفاتن ... سعاد ... ليبيا ... ملك.

انتبه لصوت أمه وهى تسأله مستنكرة:

– هل تزوجت يا فاروق؟

كانت قد لمحت دبلة الزواج فى إصبعه.

بوغت فاروق بالسؤال. لم يكن قد استعد بعد لإبلاغهم بموضوع زواجه. بعد لحظات تغلب على ارتباكه وهو يقول لأمه:

– وجدت ابنة الحلال وتزوجنا بليبيا فى العام الماضى.

وجمت الست فتحية عند سماعها بنبأ زواجه.

واصل فاروق تبريره قائلاً:

fb/mashro3pdf

– مصرية تعيش مع أسرتها بليبيا ووالدها من أكبر المقاولين هناك.

تساءل عوض افندى معاتباً:

– ألم يكن من الواجب أن تبلغنا حتى نفرح معك؟

شرح لهم فاروق ظروف الغربة والمشاغل وأنه فضل أن يحضر بنفسه ليبلغهم. طمأنهم بأن أهل زوجته أسرة محترمة جداً. وميسورة الحال. امتص بلباقة الأسى الذى شعرا به نتيجة لزواج ابنهم الوحيد بعيداً عنهم وعدم مشاركتهم فى هذه المناسبة، لكن مسحة من الحزن الدفين بقيت فى قلبيهما.

(١٠٠)

فى صباح اليوم التالى، توجه فاروق بصحبة الست فتحية وعوض افندى إلى الإسكندرية. كان عوض افندى قد سوى معاشه منذ عام وبدأ فى الاستمتاع بحريته فى الحركة. تعود كثيراً أن يشارك زوجته فى رحلاتها إلى الإسكندرية لزيارة سعاد والاطمئنان على فاتن.

استقبلتهم سعاد بفرحة عظيمة لرؤية فاروق بعد هذه الغيبة الطويلة. لم تصدق عينيها عندما فتحت الباب ووجدته يقف أمامها. نادت بانفعال على فاتن التى كانت تقوم بعمل «الدوڤوار دو ڤاكانس» فى غرفتها. كانت تكره ذلك الواجب المدرسى الصيفى الذى تلزمهم به المدرسة فى الإجازة الصيفية. خرجت فاتن من غرفتها وهى تشعر بالاضطراب عندما استمعت إلى اسم أبيها يتردد فى الخارج. وقفت على الفور مشدوهة وهى تنظر إليه فى ذهول. تقدم إليها فاروق بمشاعره الغامضة المضطربة. ضمها بقوة وهو يقبلها ورفعها بين ذراعيه. كانت فاتن طفلة نحيفة قليلة الحجم. أنزلها دون أن يدرى ماذا يقول لها. أسعفته الذاكرة من ارتباكه فتذكر الهدايا التى أحضرها معه. لقد أحضر لها لعباً عديدة إلى جانب الكثير من الحلوى والشيكولاته. لم يجد الوقت الكافى لتسوق بعض الملابس لها، كما أنه لا يعرف مقاس ملابسها ودرجة النمو التى وصلت لها.

fb/mashro3pdf

سألها فاروق:

– ما أخبار المدرسة؟

ردت عليه باقتضاب وبصوت خفيض:

– الحمد لله

أعاد سؤالها محاولاً فتح حديث معها:

– هل تعجبك المدرسة؟

ابتسمت فاتن دون أن ترد على السؤال. لم تجد الرغبة فى أن تصدقه القول وتخبره بأن المدرسة لا تروق لها، وأنها تمقتها وتكره الشدة والصرامة التى تتسم بهما الراهبات. أن تشكو له طعام المدرسة الذى يجبرنها على إكماله رغماً عنها، وعن الواجبات الصيفية التى تحيل حياتها إلى عذاب وتحرمها من اللعب فى الإجازة الصيفية. لم تشعر بالرغبة فى أن تحكى له كما تحكى لعمتها سعاد. لم تقص عليه معاناتها، كما لم تقص على عزيزة أمها فى زياراتها الشحيحة لها. إنها بعيدة بمشاعرها عنهما ولا تشعر أنها تنتمى إلى عالمهما.

أمضى الجميع النهار فى تبادل الحكايا عما مر بهم من أحداث. علمت سعاد بزواج أخيها. لم تشعر فاتن بالارتياح لدى سماعها الخبر. لم ينتبه فاروق لوجودها وهو يقص لهم بحماس عن زواجه وعن ملك زوجته وعائلتها وثرائها الفاحش. شعرت فاتن بغصة فى حلقها ورغبة فى البكاء.

أخذت سعاد فاتن لتنام معها بغرفتها وتركت غرفة فاتن لفاروق. لم تستطع فاتن أن تخلد إلى النوم بسهولة. شعرت بسعادة لوجود أبيها، لكنها سعادة ليست خالصة. وإنما يشوبها قلق مبهم ويغلفها الخوف والحزن.

(١٠١)

كان مسعد زوج عزيزة يضاجع عمتها سعاد فى بيت جدتها الست فتحية. تسحبت فاتن حتى لا يراها أحد. نزلت إلى الشارع فوجدت مدرسة «المير دو ديو»

fb/mashro3pdf

أمامها وأمها عزيزة تخرج منها وهى تعدو مرتدية ثيابا رثة ممزقة كالمتسولات. كانت عزيزة تجرى وخلفها رئيسة الراهبات بالمدرسة. خرجا إلى الطريق فعدت خلفهما فاتن لتلحق بأمها. ظهر القطار فجأة وصدم أمها عزيزة التى صرخت صرخة مدوية. صرخت فاتن بدورها وانتفضت بشدة. استيقظت سعاد على صرخة فاتن وبكائها. هزتها بشدة لتوقظها من نومها. استيقظت فاتن وهى من الرعب فى غاية. أخذت تبكى وتنتفض فاحتضنتها عمتها سعاد وهى تربت عليها وتستفسر منها بلوعة:

– خيرا يا فاتن؟

ردت فاتن بصوتها المتقطع المشوب بالبكاء:

– حلم فظيع:

استيقظت الست فتحية وعوض افندى على صوت صرخة فاتن. جاءت مهرولة إلى غرفة سعاد يتبعها عوض افندى. جلس الجميع مع فاتن حتى تهدأ وانتظروا حتى اطمأنوا على نومها مرة أخرى. نظرت سعاد إلى الست فتحية نظرة بائسة ذات مغزى ومسحت دمعة ترقرقت فى عينيها.

(١٠٢)

أمضى فاروق اليوم التالى فى الإسكندرية. دعاهم إلى وجبة سمك وجمبرى. توجهوا جميعا إلى مطعم بترو المواجه للبحر. التأم شمل الأسرة كلها بعد مرور السنين. كانت فاتن تتابع أباها بنظرها طوال اليوم وهو يتكلم ويقص عليهم مشواره فى الغربة. كيف بدأ نشاطه وكيف توسع. قص لهم عن رحلاته إلى مدن أوربا. وصف لهم بحماس جمالها ونظافتها ونظامها. كانت فاتن مبهورة بأبيها.

رغم انبهارها بشخصيته وحكاياته فإنها شعرت بالعجز عن التحدث إليه والتباسط معه. شعرت بحاجز يفصل بينهما ويلجمها عن الكلام.

غادر فاروق الإسكندرية صباح اليوم التالى بصحبة والديه متعللاً بارتباطاته بليبيا وضرورة سرعة سفره. وعدهم بالمجيء للزيارة قريبا وقضاء إجازة طويلة معهم.

fb/mashro3pdf

(١٠٣)

ترك فاروق لوالدته خمسة آلاف جنيه لتضعها فى دفتر التوفير كاحتياطى لأية مصروفات طارئة لفاتن. تناقش مع الست فتحية فى ضرورة التفكير فى الانتقال من شقة جزيرة بدران المتواضعة إلى شقة أخرى فى حى محترم. تعهد بالتكفل بكافة مصروفات الشقة الجديدة والانتقال إليها. اقترح حى مصر الجديدة أو مدينة نصر. رفضت الست فتحية رفضاً قاطعاً ذلك العرض السخى. قالت له فى اقتضاب:

– أموت ولا أغادر شبرا.

(١٠٤)

عاد فاروق إلى أعماله فى ليبيا واندمج فى حياته العملية الناجحة. كان وقع خبر حمل ملك على فاروق عظيماً. فى هذه المرة الحمل مشروع والوليد منتظر على الرحب والسعة. تذكر واقعة حمل عزيزة فى فاتن واستعاذ بالله.

وضعت له ملك طفله الأول. ذكر كما كان يتمنى، يحمل اسمه ويتسلم شركاته وأعماله من بعده. تخير له اسم فريد، اسم يبدأ بحرف الفاء مثله. فريد فاروق سعد الدين. اسم رنان يليق بولى العهد المنتظر.

(١٠٥)

السح الدح امبو ... إدى الواد لأبوه ... ياعينى الواد بيعيط ... صعبان عليا الواد ... شيل الواد م الأرض.

(١٠٦)

«الوداع يا جمال يا حبيب الملايين» ... سرت الترنيمة الحزينة فى شوارع القاهرة التى لم تنم منذ يومين مأخوذة بفجيعتها التى لم تستطع مجابهتها للوهلة الأولى. القاهرة كلها فى الشوارع وجثمان جمال عبد الناصر فى قصر القبة. جلس الأسطى

fb/mashro3pdf

توفيق يبكى بحرارة. تجمع حوله بالدكان وليم ورشدى وسالم المكوجى. دخل راغب البقال وخلفه عم عثمان البواب منتحباً كالنساء.

طيب رشدى خاطرهم وهو يقول:

– إرادة ربنا يا جماعة.

ردد وليم فى أسى:

– المصيبة كبيرة على البلد فى هذه الظروف.

تمتم الأسطى توفيق وهو يواصل البكاء:

– كان لنا كالأب.

اتفقوا جميعاً على البقاء فجر الغد للذهاب مبكراً لحضور الجنازة. كانوا يريدون اختيار موقع مناسب على خط سير الجنازة.

(١٠٧)

ترعرعت فاطمة ابنة عزيزة واستدار قوامها. أنوثتها المبكرة ودلالها العابث جذبا إليها أنظار شباب الحى. كانت متوسطة الجمال لكنها ذات قوام رشيق وتهتم اهتماماً خاصاً بملابسها وزينتها. عنيدة وعصبية، لم تستطع عزيزة أن تكبح جماحها. مسعد طيب ولا تمكنه شخصيته المتسامحة من السيطرة على فرس كفاطمة. تقلبت بين شباب الحى ونشبت المعارك بينهم بسببها.

خرجت صباح أحد الأيام لكنها لم تذهب إلى دكان كامل الذى تعمل به. مر كامل على مسعد بالدكان ليطمئن على فاطمة.

دهش مسعد لسؤال عم كامل عن فاطمة. لقد غادرت المنزل قبله متوجهة كالمعتاد لعملها. استأذن عم توفيق وعاد للمنزل للاطمئنان على فاطمة. لم يجدها بالمنزل. أطلقت عزيزة صرخة رعب على فاطمة وهى تولول:

– استر يارب ..

خرج مسعد مهرولاً وهو لا يدرى أين يبحث عنها، ذهب إلى منزل عم توفيق

fb/mashro3pdf

بشارع زنانيرى وسأل الست عنايات. مر على محل عم كامل الذى تعمل به لعلها تكون قد جاءت إليه فى هذه الأثناء. اضطرب الأسطى توفيق عندما عاد مسعد بدون أخبار واضحة عن فاطمة.

استمر الجميع فى اضطراب وخوف حتى هبط الليل. لم تنقطع عزيزة عن البكاء. انتصف الليل ولم تظهر فاطمة. أمضى الجميع الليلة ساهرين حتى طلوع النهار. توجه مسعد وعم توفيق إلى قسم شرطة شبرا للإبلاغ عن غياب فاطمة وعدم عودتها.

(١٠٨)

اقترح وليم الصائغ على عم توفيق الذهاب إلى كنيسة السيدة العذراء بالزيتون لمشاهدة السيدة العذراء التى تتجلى كل ليلة بالسماء فوق الكنيسة ويتبعها ظهور الحمام المضيء. كانت وفود المريدين تتوافد على الكنيسة وتحيط بها كل ليلة لمشاهدة السيدة العذراء والتبرك بها. اقترح عليه الذهاب للتبرك والتضرع لها حتى تعود فاطمة سالمة من غيبتها.

(١٠٩)

مرت الأيام على اختفاء فاطمة ولم تظهر أية بادرة أمل فى العثور عليها. ذبلت عزيزة ولم تكف عن البكاء. مر مسعد على المستشفيات القريبة للسؤال عنها دون جدوى. استسلم الجميع للقدر ماعدا عزيزة. تذكرت نعمت صديقة فاطمة التى تسكن فى شارع على بك النجار بالقرب من منزلهم السابق. ارتدت ملابسها وقصدت منزل نعمت. قابلت والدة نعمت ففوجئت باختفاء نعمت أيضا فى نفس الوقت. مع مرور الأيام، ترددت الأقاويل عن سفرهما معاً للعمل فى بيروت.

(١١٠)

استيقظت سعاد كعادتها لكى توقظ فاتن للاستعداد للذهاب إلى المدرسة. اشتكت فاتن أنها تشعر بمغص شديد. تحسست سعاد جبهتها فوجدت أن حرارتها طبيعية.

fb/mashro3pdf

جاءت سيارة المدرسة ولم تقو على النزول. ظلت فاتن فى فراشها تقاوم الألم. مر اليوم بطيئا دون أن تتحسن فاتن. فى المساء، صرخت فاتن مستغيثة بعمتها سعاد أثناء وجودها بدورة المياه، هرعت سعاد ملهوفة إليها. اشتكت فاتن فى خوف:

– لقد جرحت ...

ابتسمت سعاد وهى تشاهد آثار الدماء. طمأنتها وهى تربت عليها. شرحت لها أنها أصبحت الآن فتاة مكتملة الأنوثة وأنها لم تعد طفلة بعد الآن. أخذتها إلى غرفتها وهى تشرح لها ما حدث، وتطمئنها بأن هذا الأمر يحدث لجميع النساء.

(١١١)

قرر فاروق أن يؤسس شركة للتصدير بإحدى الدول الأوربية للإشراف على ما يستورده من الخارج ومتابعة شحنه وتصديره إلى ليبيا. درس الموقف بعناية مع أصدقائه ثم تخير مدينة هامبورج بألمانيا ليؤسس فيها شركته. كان يستورد الكثير من البضائع بعد اتساع تجارته وازدياد المشروعات التى تقوم شركته للمقاولات بإنشائها. بدأت الحكومة الليبية بعد ثورة أول سبتمبر فى إنشاء العديد من المشروعات الكبرى كالمستشفيات والمدارس والطرق ومحطات الطاقة وغيرها من المشروعات فى كافة أنحاء ليبيا. تعددت رحلاته إلى هامبورج وأتم تأسيس شركة التصدير بهامبورج مشاركة مع صديقه الألمانى إريك هوفمان. تعرف فاروق عليه عندما كان مديرا للمبيعات بإحدى الشركات التى يتعامل معها من قبل. اتفق معه على تكوين شركة بينهما بعد أن ترك عمله بالشركة. تعددت رحلاته إلى ألمانيا لتأسيس الشركة وتنظيمها لبداية العمل. لم يشأ أن يذهب إلى مصر فى هذه الفترة نظرا لأن الرئيس السادات كان قد أعلن أن عام ١٩٧١ سوف يكون عام الحسم. خشى أن تنشب الحرب أثناء زيارته لمصر فلا يستطيع مغادرتها فتتعطل أعماله.

fb/mashro3pdf

(١١٢)

وضعت ملك صبيا ثانيا لفاروق بعد عامين من ميلاد فريد. لم يكن فاروق موجوداً بليبيا فى ذلك الوقت. اتصل بها تليفونيا من ألمانيا ليطمئن عليها فعلم بالنبأ. اختار له فادى اسماً وأبلغها أنه سيعود فورا لرؤية المولود الجديد. وصل فاروق إلى طرابلس فى اليوم التالى، كانت سعادته غامرة وهو يحمل فادى بين يديه ويراقب فريد وهو يجرى حوله محدثا جلبة وضجيجا باللعب التى أحضرها له أبوه.

(١١٣)

أرسلت فاطمة خطابا إلى أمها من بيروت. كان للخطاب وقع السحر على نفس عزيزة المكلومة. طلبت فاطمة من عزيزة أن تسامحها على سفرها المفاجئ وأن تدعو لها فى غربتها. طمأنتها على استقرارها فى العمل فى مطعم مشهور ببيروت. تصرفت فاطمة بعض الشيء ولم تجرؤ على إبلاغها أنها تعمل فى ملهى ليلى بمنطقة الحمراء. أرسلت السلام للجميع وألحت فى طلب العفو والمغفرة من والدتها.

كانت فرحة عزيزة فرحة مزدوجة. تسلمت خطاب فاطمة وأطمأنت أنها بخير، كما اطمأنت على ابنها على بعد أن تمكن بعد لأى من الحصول على دبلوم الصنايع. كان على صبيا مشاغباً ومهملاً لدراسته. أرهق عزيزة ومسعد كثيرا حتى تمكن أخيراً من الحصول على دبلوم الصنايع. اعتاد على أن يتردد على أبيه محمود بمعروف ليطلب منه نقوداً يغطى بها مصروفاته المرتفعة. بدأ التدخين مبكراً واعتاد أن يطلب نقودا من أبيه ومن جده الأسطى توفيق.

توسط محمود لدى جاره الأسطى زينهم الميكانيكى ليقبل إلحاق على بورشته. تبنى الأسطى زينهم على واهتم بتوجيهه وإرشاده حتى أصبح متمرساً بالمهنة.

(١١٤)

تباعدت زيارات كمال لسعاد مما تسبب فى توترها وازدياد عصبيتها. تحجج كمال بحجج واهية تبرر تباعد زياراته لها. شعرت سعاد بغريزتها الأنثوية بفتور كمال تجاهها.

fb/mashro3pdf

تفننت فى الاهتمام بأنوثتها وزينتها ولكن دون جدوى. أصبح كمال يتغيب عن الحضور عدة أيام بعد أن كان يأتى لزيارتها يومياً. لم يجرؤ على إبلاغها بأنه مقدم على مشروع للزواج. لقد تقدم لخطبة زيزى صديقة أخته نوال. أنكر عندما سألته سعاد صراحة عن تفكيره فى الزواج. تزايد قلق سعاد واضطرابها. لم تستطع أن تمنع نفسها من البكاء كلما فكرت فى احتمال فقدها لكمال. لقد أصبح محور حياتها التى لا تتخيلها بدونه. لا تمر لحظة واحدة دون أن تفكر فيه. منذ أن تفتح عينيها صباحاً، تتخيله وهو يستيقظ من نومه، يرتدى ملابسه ويغادر المنزل إلى عمله. يركب الترام كما حكى لها، تتخيله أثناء وجوده فى العمل، عند عودته إلى المنزل، ثم عندما يجيء إليها وحتى بعد أن يغادرها وهى تشرع فى النوم. تبتسم وهى تغمض عينيها وتفكر فيه حتى تدخل إلى مملكة النوم. تستحضره إلى أحلامها فى كثير من الليالى ... كيف تحيا بدونه؟ ... كرهت الحياة وتمنت الموت.

(١١٥)

مر أسبوعان دون أن يأتى كمال لزيارتها. تواصل بكاء سعاد وازداد شحوبها. بدأت تشعر أنه يتهرب منها عندما كانت تحاول الاتصال به تليفونيا. انتظرت بصبر نافد موعد استلام معاشها. نهضت قبل الفجر واستعدت مبكراً للذهاب إلى الوزارة ومقابلة كمال. أخفت عينيها بنظارتها السوداء حتى لا يظهر ذبول عينيها واحمرارهما من كثرة البكاء. فوجئت عندما دخلت إلى غرفة الخزينة بعدم وجود كمال. سألت عنه الموظف الذى سلمها معاشها فأجابها بأنه فى إجازة شهر العسل. تماسكت بصعوبة وانسحبت وهى تنفجر فى البكاء. لم تستطع التماسك رغم نظرات الجميع وتعجبهم. سارت فى الطريق فاقدة الاتجاه، تنهمر دموعها دون توقف ولا تدرى إلى أين تتوجه. فكرت لوهلة فى الانتحار. لم تستطع العودة إلى المنزل إلا قبل موعد عودة فاتن بفترة وجيزة.

fb/mashro3pdf

«قام العدو فى الساعة الواحدة والنصف بعد ظهر اليوم بمهاجمة قواتنا بمنطقتى الزعفرانة والسخنة بخليج السويس بواسطة عدة تشكيلات من قواته الجوية عندما كانت بعض زوارق البحرية تقترب من الساحل الغربى للخليج، وتقوم قواتنا حالياً بالتصدى للقوات المغيرة»

تجمع الجميع بدكان وليم الجواهرجى. رشدى وراغب البقال والأسطى توفيق وسالم المكوجى. تساءل راغب فى قلق:

– هل ستقوم الحرب؟

رد عليه رشدى بذهول:

– ربنا يستر ... يارب.

كان ابنه أنيس مجندا فى الجيش منذ تخرج فى كلية التجارة بعد حرب ١٩٦٧. اعتصر القلق قلبه وهو يفكر فى ابنه الموجود على الجبهة بالجيش الثانى.

طمأنه وليم قائلاً:

– إن شاء الله ربنا سينصرهم.

رد سالم المكوجى بحماس:

– لقد مللنا من ذلك الوضع الخانق.

كان الجمود الذى ساد فترة اللاسلم واللاحرب يجثم على صدور الجميع. كاد اليأس أن يتسرب إلى القلوب. تاقت النفوس إلى بداية المعركة واندلعت مظاهرات الطلبة فى الشوارع. فقد الشباب الأمل فى مستقبلهم بعد استطالة فترة تجنيدهم وعدم وضوح الرؤية فى كيفية وأوان نهاية هذا الهم الثقيل.

توالت البيانات العسكرية حتى انفجرت الفرحة الغامرة مع إذاعة البيان الخامس فى الساعة الرابعة بعد الظهر. «نجحت قواتنا فى اقتحام قناة السويس فى قطاعات عديدة، واستولت على نقط العدو القوية بها، ورفع علم مصر على الضفة الشرقية للقناة. كما قامت القوات المسلحة باقتحام مواقع العدو فى مواجهتها وحققت نجاحا مماثلاً فى

fb/mashro3pdf

قطاعات مختلفة».

قال وليم فى رجاء:

– لو صمدنا حتى يهبط الليل ستكون فرصتنا جيدة للعبور.

رد رشدى بحماس:

–البيان يقول إننا عبرنا.

أجابه وليم:

– أقصد عبور أكبر عدد من القوات.

تحلق الجميع حول الراديو وكلهم شوق للمزيد من الأخبار السارة.

(١١٧)

ارتفعت الروح المعنوية للجميع بتوالى الانتصارات. فى طرابلس تجمع رجال الأعمال المصريون بنادى الجولف وهم يتابعون أخبار بداية الحرب وعبور القوات المسلحة لقناة السويس. فرحة غامرة وشعور بالفخر والخلاص عمّ الجميع. أرجأ فاروق سفره المزمع إلى ألمانيا ليتابع أخبار الحرب. لم يشعر بالقدرة على العمل أو السفر. هو لا يفعل شيئا ذا قيمة ولكنه لا يستطيع السفر. شعرت زوجته ملك بالقلق نظرا لوجود والدها المهندس عبد الهادى النجار فى القاهرة فى زيارة عمل.

(١١٨)

مرت أشهر قبل أن تستجمع سعاد نفسها وتتخطى الصدمة الشديدة التى ألمت بها بانتهاء علاقتها بكمال بعد تعلقها الجنونى به. ساعدت الأحداث العامة واندلاع الحرب على انتشالها من مشكلتها الشخصية. بدأت فى الاهتمام بنفسها بعد الذبول الذى اعتراها. انزعجت لملاحظتها ظهور بعض الشعيرات البيضاء فى رأسها ... الزمن يمر ... هل ولى شبابها حقاً؟

fb/mashro3pdf

... تساءلت بأسى ... فى اليوم التالى ذهبت إلى الكوافير وقامت بصباغة شعرها. أخذت تراقب وجهها يوميا فى المرآة لمدد طويلة. تفتش عن أية بدايات لتجاعيد قد تكون على وشك الظهور ... إنها تريد رفيقا ... يحبها ... يهتم بها ... ليتها تستطيع الزواج ... لماذا لم تفكر فى الزواج قبل ذلك؟... تعجبت للسؤال الذى لم يرد إلى ذهنها من قبل ... هل لشقتها بأن الزواج يمكن أن يتم فى أى وقت إذا أرادت ... هل لانشغالها بحب كمال ... لقد كان يصغرها بأربعة أعوام ... هل لذلك السبب لم تفكر فى الزواج منه؟ ... هل لأنها لم تفكر فى الغد؟ ... جزعت أشد الجزع عندما انتبهت إلى أنها على مشارف الأربعين ... شعرت بانقباض شديد وخوف دفين.

(١١٩)

قبل أن تقوم الأسرة بزيارة القاهرة، فاتح فاروق حماه المهندس عبد الهادى النجار فى موضوع ابنته فاتن. صدمت المفاجأة الرجل واستاء من زوج ابنته الذى خدعه وأخفى عنه ذلك الموضوع الهام قبل الزواج. حاول فاروق أن يبرر موقفه. أوضح له أن الطفلة جاءت نتيجة لخطأ حدث وهو شاب وأنه خشى أن يؤثر ذلك الموضوع على زواجه من ملك، وخاصة أن فاتن تعيش مع عمتها بالإسكندرية ولن تمثل عبئاً على ملك.

أسقط فى يد الرجل وهو يتساءل:

– كيف سننقل الخبر إلى ملك؟

رد عليه فاروق برجاء:

– عشمى كبير فى حسن تصرفك.

اعترض المهندس عبد الهادى النجار وهو يقول بحزم:

– يجب أن نشترك معاً فى إبلاغها بالأمر.

امتثل فاروق لرغبة حميه وأخذا يتدبران الأمر.

fb/mashro3pdf

(١٢٠)

تعقدت الأمور بعد أن علمت ملك بالخبر. ثارت وشعرت بالإهانة لخداع فاروق الرخيص لها. شعرت بفقدان الثقة فيه. من يدريها أن هذه هى الحقيقة كلها. لم لا تكون هناك أسرار أخري؟ ... زوجة أخرى مثلاً؟. منعها كبرياؤها من السؤال عن زوجته السابقة، أم فاتن. ابتلعتها دوامة من الهواجس والشكوك فأفقدتها القدرة على اتخاذ قرار بخصوص حياتها معه. فريد وفادى هما الحقيقتان المؤكدتان فى حياتها الزوجية الآن. ألغت سفرها معه إلى القاهرة وهى تقول بحسم:

– لن أسافر إلى القاهرة. يجب أن أقرر أولاً إن كانت حياتنا ستستمر.

(١٢١)

تكدرت الأجواء بين فاروق وملك وفترت العلاقة بينهما. افتعل فاروق رحلة عمل إلى ألمانيا ليهرب من جو الأزمة. وصلت طائرته إلى مطار هامبورج حيث كان شريكه إريك هوفمان فى انتظاره. اصطحبه فى سيارته إلى فندق «رايخسهوف» الذى اعتاد الإقامة فيه. كان يفضله على غيره من الفنادق. ودع إريك بعد أن اتفقا على اللقاء فى التاسعة والنصف مساء.

دخل إلى بهو الفندق الفسيح وتوجه إلى موظف الاستقبال، حياه الموظف بترحيب فهو عميل دائم للفندق. توجه إلى غرفته بعد أن ملأ استمارة الدخول، خلع الجاكت ورباط العنق واستلقى على الفراش ليستريح قليلاً من عناء الرحلة. خشى أن يستغرق فى النوم فنهض متثاقلا. خلع ملابسه ودخل إلى الحمام بعد أن ملأ البانيو. أخذ حماماً طويلاً حتى شعر بالاسترخاء فقام ليستعد للخروج. كان قد نسى مشكلة فاتن وملك تماما بانتهاء حمامه وارتداء ملابسه.

(١٢٢)

نزل إلى بهو الفندق انتظارا لحضور إريك. بهو فسيح، تتلألأ فيه الأضواء المنبعثة

fb/mashro3pdf

من النجف الكريستال الفخم، والذى يرصع السقف العالى، بين الأعمدة الرخامية البيضاء. أحب فاروق فخامة المكان الكلاسيكية والتى تعطى انطباعاً بأنك فى قصر من القصور الملكية العريقة.

حضر إريك فى تمام التاسعة والنصف. الدقة الألمانية المستفزة التى تعطيك الانطباع بأنه يحضر قبل الموعد ويختبئ خارج الفندق، إلى أن يسمع دقات الساعة فيندفع إلى الداخل بشكل يبدو طبيعيا. دعاه فاروق إلى مشروب سريع لكنه فضل أن ينطلقا فى جولتهما الليلية على الفور. بادره فاروق قائلا بالإنجليزية:

– أشتاق اليوم إلى سهرة ذات طابع خاص.

سأله إريك:

– هل تريد أن نبدأ كالمعتاد بساوباولي؟

أجابه فاروق على الفور:

– لا بأس من زيارة سريعة.

توجه إريك بالسيارة إلى شارع الريبربان الشهير، شارع الجنس واللهو الذى يحج إليه كل من يحل بمدينة هامبورج، شارع عريض مليء بملاهى الجنس والساونا وعروض الإستربتيز المتناثرة بين المطاعم والبارات، حوله الشوارع الجانبية والخلفية الضيقة المشتملة على ڤيترينات عرض المومسات. غرفة واجهتها من الزجاج تطل على الشارع وتجلس فيها المومس عارية أو تكاد. يمر أمامها المارة ليشاهدوا هذا العرض السخى حتى يحزم المشاهد أمره فيتخير واحدة يدخل إليها.

توقفوا بالقرب من «الإيروز سنتر»، مركز تجمع وعرض للمومسات بشكل مختلف عن ڤيترينات العرض الزجاجية. ساحة واسعة مغطاة ومدفأة، تقف فيها العشرات من الفتيات شبه العاريات. لا يسمح بالدخول إلى هذه الساحة إلا للرجال فقط وغير مسموح بدخول السيدات احتراما لمشاعر المومسات. يدخل الرجل ويمر على الفتيات اللاتى يدعونه لاختيارهن. يبدأ التفاوض وينتهى بالصعود إلى غرفة الفتاة.

دخل فاروق وإريك، توجه فاروق إلى فتاته التى اعتاد زيارتها كلما جاء إلى

fb/mashro3pdf

هامبورج. رحبت به وقبلته ثم سحبته من ذراعه إلى غرفتها. اتفق مع إريك على انتظاره فى البار المجاور الذى اعتادا أن يرتاداه معاً.

لحق فاروق بإريك فى البار. اقترح إريك أن يذهبا إلى ملهى ليلى يختلف عن المعتاد. مرقص تدعو فيه المرأة الرجل إلى الرقص ثم التعارف. راقت الفكرة لفاروق. انطلقا سيرا على الأقدام إلى «البال پارادوكس»، مرقص المتناقضات كما يدعى، لم يكن بعيداً عن موقعهما. دلفا إلى المرقص، وتخيرا طاولة تتوسط المكان، حتى يكونا فى متناول الجميع. التقط فاروق مطبوعة موضوعة على جميع الطاولات. تعليمات للزائرين تشرح فيها تقاليد المكان. المرأة هى التى تختار من يراقصها فى معظم المرات. من آن لآخر، يسمح برقصة واحدة، يختار فيها الرجل هذه المرة من يعجب بها، ليدعوها إلى الرقص حتى يلفت انتباهها إلى إعجابه بها. يستطيع كذلك أن يشترى وردة من البائعات الصغيرات المنتشرات بالمرقص ويرسلها لمن يريد أن يخطب ودها، عسى أن تأتى إليه وتدعوه للرقص. من غير المسموح أن يرفض الرجل دعوة المرأة إلى الرقص.

سهرا سهرة مختلفة فعلاً عن المألوف، انتهت بهروبهما من المكان. أخذا يضحكان بصخب وسخرية وهما يخرجان مسرعين من المرقص. معظم من يرتدن المكان من السيدات المتقدمات فى السن. حظ فاروق التعس أوقعه فى سيدة بدينة، تجاوزت الستين من عمرها. واظبت على دعوته إلى الرقص بإصرار. بمجرد أن يبتدئ عزف الفرقة الموسيقية تندفع إليه لاهثة قبل أن تختاره الأخريات. كانت تعانى من بعض الصعوبات فى التنفس. بعد أن لعبت برأسهما الخمر، قررا سرعة الهروب من المكان قبل أن تتفاقم العواقب.

(١٢٣)

قرر فاروق أن يقوم بزيارة خاطفة إلى القاهرة دون أن يبلغ ملك زوجته. بعد أن أمضى أسبوعاً بهامبورج، توجه إلى القاهرة قبل أن يذهب إلى مهمة عمل سريعة فى

fb/mashro3pdf

روما، وذلك فى طريق عودته إلى طرابلس.

توجه إلى فندق هيلتون النيل الذى يعشقه منذ أن كانا طالباً بالجامعة. كثيرا ما تردد على كافتيريا الفندق الشهيرة «الأيس كافية» لتناول الكابوتشينو. لم يشأ أن يقيم بجزيرة بدران. المكان لم يعد يناسبه وسوف يعتذر لوالديه بأنه اضطر للإقامة بالفندق بسبب مصاحبة بعض الضيوف الأجانب له.

توجه إلى جزيرة بدران فى زيارة خاطفة. أبلغ الست فتحية أنه سيتوجه صباح اليوم التالى إلى الإسكندرية، على أن يعود مساء نفس اليوم لانشغاله الشديد. استقل ديزل الصباح المتجه إلى الإسكندرية، غادر الديزل بمحطة مصر واستقل سيارة تاكسى إلى شارع الإسكندرانى بمحرم بك. استقبلته فاتن بمزيج من السعادة والرهبة. فوجئ فاروق بنضج فاتن الملحوظ. فتاة يافعة استدار نهداها وتشكل جسدها فى طريقه إلى اكتمال الأنوثة. رشيقة القوام وتميل إلى النحافة. استرعى انتباهه نضوجها المبكر فداعبها قائلا:

– عروسة جميلة. لم أكن أتصور أنك قد كبرت إلى هذه الدرجة.

ردت عليه سعاد:

– ما شاء الله. فاتن أتمت خمسة عشر عاماً.

أعطى فاروق الهدايا المحمل بها إلى فاتن وسعاد. العديد من زجاجات البارفان ومستحضرات التجميل. اعتذر لفاتن أنه لم يستطع أن يشترى لها ملابس من الخارج لجهله بمقاساتها. أعطى فاتن ألف جنيه وترك لسعاد ثلاثة آلاف جنيه لتشترى ملابس لفاتن.

طلب منهم أن يستعدوا للخروج لتناول طعام الغداء معه. اضطربت فاتن من فرط سرعته فى الكلام والتصرف واتخاذ القرارات. شعرت كمن يجرفها التيار دون أن تستطيع المقاومة. ازدادت قدرات فاروق على توجيه من حوله لأن يتحرك ويفعل كما يريد دون مقاومة. توجهوا جميعاً إلى مطعم سان جيوڤانى على شاطئ البحر. قدم لهم الجرسون طاولة ملاصقة للنافذة المطلة على البحر. كانت فاتن تنتهز فرصة انشغال

fb/mashro3pdf

والدها فى الحديث مع عمتها لتسترق النظرات إليه. رجل ساحر. ليته يعيش معها. المرة الثانية فقط التى تراه فيها منذ أن سافر إلى الخارج. كل مرة تراه لساعات معدودات. إنها تريده بجوارها. تريد أن تحتضنه. تريد أن تخرج معه دائماً للنزهة. أن تسافر معه. لم لا يأخذها لتعيش معه. كثير من الأبناء يعيشون فى كنف زوجة الأب. يقول إن لها أخوين. فريد وفادى. هم الآن فريد وفادى وفاتن. سمعته يبلغ عمتها سعاد أنه سيعود فى المساء إلى القاهرة ومنها إلى روما فى اليوم التالى. يقول إنه يمتلك شركة بألمانيا. لابد أنه رجل رائع. إنها تحبه ولكنها ليست معتادة على التباسط معه. لم لا يحاول هو أن يتودد إليها؟ ... إنه يتحدث دائماً عن رحلاته وأعماله ونجاحاته. لا يتوقف عن الحديث. لماذا لا يتحدث معها؟.. ترى متى يعود من الخارج نهائياً؟ .. لا تجرؤ على سؤاله ... تشعر أنها لا تستطيع أن تخرج الكلمات من بين شفتيها ... لماذا؟ .. إنه شخص ودود ولطيف كما يبدو. ماذا يمنعها من الحديث إليه وسؤاله عما تريد؟

(١٢٤)

شعرت فاتن بالقهر وهو يودعها. كانت تشعر بالرغبة فى البكاء. الدموع تحجرت فى عينيها. تركته يقبلها وهى واجمة لا تنطق. ودعهما فاروق ورحل مسرعاً ليلحق بموعد ديزل العودة. وصل إلى القاهرة متأخراً. توجه إلى الفندق مباشرة. أخذ حماماً سريعاً واستبدل ملابسه ثم صعد إلى ملهى البلقدير الليلى فى الطابق الأخير.

صباح اليوم التالى، ودع الست فتحية وعوض افندى تليفونيا وتوجه إلى المطار.

(١٢٥)

عاد فاروق إلى طرابلس بعد توقف قصير فى روما. اهتم بشراء هدية مميزة لملك. اختار لها طاقم من الماس يتكون من قلادة يتوسطها حجر كبير من الزفير الذى تعشقه ملك، بالإضافة إلى قرط من الماس والزفير أيضاً.

أفادت فترة غياب فاروق فى كسر حدة المواجهة بينه وبين ملك. لم ترجع العلاقة

fb/mashro3pdf

بينهما إلى طبيعتها، لكن الإعصار كان قد مر. تحدث معها والدها عدة مرات فى الموضوع، وأقنعها بأنه من الحكمة أن تدع تلك الواقعة تمر بسلام إنقاذا للأسرة، وحرصاً على مستقبل الأولاد واستقرارهم.

استخدم فاروق كل خبراته الحياتية فى الاهتمام بملك والتودد إليها. أكثر من دعوتها على العشاء، وحرص أن يكونا بمفردهما، دون الأصدقاء والمعارف، حتى يعطى الفرصة لتواصل الحديث بينهما ولتخمد العاصفة فى سلام.

(١٢٦)

أمجد الشريف، رائد بالقوات البحرية، يقطن بالمنزل المقابل لمنزل المرحوم سامى العلايلى بشارع الإسكندرانى. تطل شرفته على غرفة فاتن. شاب فى الثلاثين من عمره، جذاب الملامح، أسمر اللون ويميل إلى الطول. ترتسم على ثغره ابتسامة دائمة ويشع من عينيه بريق الذكاء.

لفت نظره نمو فاتن السريع وأنوثتها الفوارة. لاحظت فاتن أنه قد بدأ يكثر من التواجد بشرفة منزلهم وشكّت فى أنه يتابعها فى تحركاتها دون أن تدرى. بدأت فى الانتباه إليه فتأكدت من متابعته لها. شعرت بفرحة داخلية وثقة بنفسها لم تعهدها من قبل. شاب وسيم، ضابط فى البحرية وشديد الجاذبية. تلاقت عيناهما ذات يوم فابتسم لها. بادلته الابتسام بترفع وانسحبت إلى الداخل.

تكررت النظرات بينهما، وتوالت الابتسامات إلى الدرجة التى أوجدت بينهما نوعاً من الألفة غير المعلنة. بدأت فاتن تدريجيا فى التعلق به، والراحة لوجوده فى الشرفة.

(١٢٧)

أكثرت سعاد من زياراتها لجيرانها ومعارفها. يدفعها هاجس داخلى. بأنها يجب أن توسع دائرة معارفها. ضاع عمرها مع كمال بعد وفاة المرحوم سامى زوجها وانغلقت على نفسها معه إلا فى أضيق الحدود. تمنت لو يسعدها الحظ بلقاء رجل مناسب ينتشلها من وحدتها وينقذها من المستقبل الموحش.

fb/mashro3pdf

بدأت في التردد على نادى اليخت مع صديقتها نادية، التى كانت نادراً ما تزورها. نادية تمتُّ بصلة قرابة لزوجها المرحوم سامى، وهى الوحيدة من عائلته التى أحبتها سعاد، لخفة ظلها وجرأتها.

كانت نادية مطلقة منذ فترة طويلة، لم يدم زواجها سوى عام واحد بعد أن اكتشفت أن زوجها عنين. لا تكف عن السخرية من الرجال بعد تجربتها المريرة. نادية تعيش مع والدتها بسموحة وتمتلك بوتيكا لبيع الملابس بحى رشدى. كانت تسافر إلى بيروت عدة مرات، بصحبة بعض الفتيات، لشراء احتياجات البوتيك من الملابس. طبيعة عملها جعلت لها علاقات متعددة مع سيدات الطبقة الراقية. أكثرت سعاد من زيارتها لها فى البوتيك، وأصبحت تقبل دعواتها لها للغداء بنادى اليخت. بدأت سعاد فى الدخول إلى دائرة نادية وتعرفت على غالبية صديقاتها.

(١٢٨)

بدأ الحديث يتزايد بين رجال الأعمال عند اجتماعهم بنادى الجولف عن الانفتاح الاقتصادى بمصر. بدأ الكثيرون فى التفكير فى العودة إلى مصر لدراسة الموقف. جذبت المنطقة الحرة ببورسعيد أنظار العديد منهم.

الفكرة جيدة، يؤسس فاروق شركة بمصر ويبدأ بنشاط الاستيراد الذى أصبح رائجاً رواجاً متنامياً. يتم التنسيق بين شركتيه بهامبورج ومصر مما يعطيه ميزة إضافية. يبدأ بالاستيراد فهو الأسهل ثم يدرس على مهل نشاط المقاولات بمصر الآن. يتحدثون عن إنشاء مدن جديدة، ولابد أن يواكب ذلك الانفتاح الاقتصادى نشاط عمرانى حثيث.

اختمرت الفكرة فى ذهن فاروق. تحدث عنها مع ملك ومع المهندس عبد الهادى النجار الذى تحفظ على الفكرة، نظراً لنجاح أعماله فى طرابلس، وعدم اقتناعه ببداية جديدة لنشاط جديد غير مضمون، بالإضافة إلى تقدمه فى العمر.

أعد فاروق نفسه للسفر إلى القاهرة، بعد أن قام بالتنسيق مع مدير شركته بطرابلس، لتوقعه أن تطول فترة تغيبه بالقاهرة، لإكمال إجراءات تأسيس شركته الجديدة.

fb/mashro3pdf

عقد أمجد عزمه على الحديث مع فاتن. استيقظ يوم الجمعة مبكراً واستعد للخروج عندما تغادر فاتن منزلها. اعتادت فاتن الذهاب إلى السينما مع صديقاتها فى حفلة العاشرة صباحاً يوم الجمعة، حيث الإجازة من المدرسة، والرغبة فى الانطلاق والترويح عن النفس بعد عناء الأسبوع.

صباح خريفى سكندرى بديع. نتف من السحابات البيضاء تسبح برشاقة على صفحة من الزرقة الصافية. نسمة خفيفة لا يؤرقها قيظ ولا برد تداعب الوجوه المستيقظة فتدغدغها فى خدر شفيف.

اقترب أمجد من فاتن عندما ابتعدا عن شارع الإسكندرانى وبادرها بالتحية. ابتسمت له ابتسامة حيية وهى ترد التحية. تشجع أمجد وسار بمحاذاتها. قال لها:

– أعرف أنك تواظبين على الخروج صباح الجمعة.

أجابته بصوت خفيض:

– أذهب إلى السينما مع بعض الصديقات.

حاول أمجد أن يطيل الحديث بينهما، سألها:

– أين تذهبين اليوم؟

– سينما أمير.

– هل تفضلين الأفلام الأجنبية؟

– لا نشاهد سوى الأفلام الأجنبية.

صمت قليلاً ثم سألها:

– إلى أين تذهبين بعد السينما؟

أجابته فى ارتباك:

– نتناول غداء سريعاً ثم نذهب إلى النادى.

تردد قبل أن يسألها:

– هل تقبلين دعوتى على السينما يوم الجمعة القادم؟

صمتت قليلاً ثم قالت:

fb/mashro3pdf

– تعودت أن أذهب مع صديقاتى.
– تستطيعين الاعتذار. سأنتظرك الساعة العاشرة أمام ديليس.

(١٣٠)

التقت سعاد بصلاح بك بدران، فى دعوة للغداء بنادى اليخت، ضمت نادية وبعض الصديقات وأزواجهن. صلاح بك بدران صديق ليسرى بك الشيمى زوج هيام، الصديقة المقربة لنادية.

أعجب صلاح بك بدران بسعاد. دعا الجميع إلى الغداء بڤيلته بالعجمى. أكد على نادية بضرورة حضور سعاد معها. تجمع الأصدقاء بڤيلا صلاح بك بدران بالعجمى. ڤيلا ضخمة تحيط بها حديقة واسعة معتنى بها. تجمعوا بالحديقة الخلفية للڤيلا، حيث أعد لهم صلاح بك حفلة «باربكيو». تجمع عم مصطفى الطباخ ومرزوق السفرجى وبهيرة الشغالة حول الفحم وأخذوا يعدون الأسياخ ويرصونها على الفحم. أعدت للضيوف طاولة كبيرة، وضعت عليها زجاجات المشروب والأكواب والكئوس. دعا صلاح بك الجميع إلى المائدة وهو يقول:

– Please, help yourself.

توجه إلى سعاد وسألها فى تودد:

– ماذا تشرب سعاد هانم؟

– عصير برتقال من فضلك:

– ما رأيك فى بيرة مثلجة مع «الباربكيو»؟

– فيما بعد، مع الغداء.

ذهب صلاح بك لإحضار عصير البرتقال وأحضر لنفسه كأساً من الويسكى. اهتم صلاح بك بالحديث إلى سعاد معظم الوقت. تناثرت التعليقات الضاحكة من الحضور، مشيرة إلى اهتمام صلاح بك بسعاد. قبل نهاية اللقاء، كانا قد تبادلا أرقام التليفونات وتواعدا على اللقاء.

fb/mashro3pdf

(١٣١)

تعددت لقاءات أمجد وفاتن. أصبحت لقاءات منتظمة صباح يوم الجمعة. لم تعد فاتن تشارك صديقاتها فى الذهاب إلى السينما، لم تعد تذهب إلى النادى. يذهبان صباحاً هى وأمجد إلى السينما ثم يقضيان النهار معاً حتى المساء. بعد أن توطدت علاقتهما، دعاها أمجد إلى قضاء اليوم معه بشقة صديقه سامح، الذى سافر إلى القاهرة لزيارة أهله هناك. سامح زميله فى البحرية ويسكن بمفرده فى شقة بحى لوران. يقضى إجازة نهاية الأسبوع مع أهله فى القاهرة. لم تمانع فاتن. كانت قد تعلقت بأمجد تعلقا شديداً. ملأ عليها فكرها وعواطفها الهادرة. حرك أنوثتها ورغبتها، وكانت فى أشد الاشتياق للارتماء فى حضنه.

توجها معا إلى شقة سامح بلوران. شقة فسيحة بإحدى العمائر القديمة. صالة فسيحة تطل عليها غرف الشقة، وممر صغير يفضى إلى المطبخ والحمام. جلسا ليلتقطا أنفاسهما على الصالون المريح الموجود بالصالة.

قام أمجد إلى الثلاجة وأحضر زجاجة بيرة مثلجة. وضع شريطاً فى جهاز التسجيل وأداره. جلسا يتسامران على صوت الموسيقى وهو يضمها إلى حضنه.

قبلها قبلة طويلة فذابت بين يديه. داعب جسدها برفق فأغمضت عينيها واستسلمت له. بدأ فى خلع ملابسها حتى أصبحت عارية تماما. حملها بين يديه ودخل بها إلى غرفة النوم. تخلص من ملابسه سريعاً بعد أن وسدها الفراش.

استغرقا فى نشوة عارمة طوال اليوم. تألمت قليلاً ولم تكترث لفض بكارتها. استعذبت الذوبان فى جسده المفتول وصدره المغطى بالشعر الكثيف. كلما هم بالنهوض ليستعدا للانصراف، جذبته إليها فى توسل ورجاء. لم تكن تريد أن تغادر هذا العالم الحميم.

(١٣٢)

حضر فاروق إلى الإسكندرية فى زيارة خاطفة. بهرته أنوثة ابنته فاتن بعد أن اكتملت وارتوت. تخيل أنه لو قابلها عرضاً فى مكان ما دون أن يعرف أنها ابنته

fb/mashro3pdf

لسعى إليها. فاتن مشغولة تماما بأمجد، إلى الحد الذى جعلها لا تشعر بتلك الفرحة التى اعتادتها عند حضور أبيها النادر. أمجد لا يغادر مخيلتها ليلاً أو نهاراً. تترقب موعد عودته. تنتظره بالنافذة. عيناها لا تبرح شرفته. ترى وجهه يطالعها على صفحات كتبها أثناء المذاكرة. ترسم صورته بالقلم على أوراقها. كانت فاتن بارعة فى الرسم. رسمت العديد من الاسكتشات له واحتفظت بها. رسمته كثيراً عارياً. رسمت نفسها وهى فى حضنه. وهما ملتصقان وملتحمان. وهما مستلقيان على الفراش. وهما يجلسان معاً. وهما يتضاجعان. كانت تعيش معه وبين أحضانه فى خيالها على الدوام.

قصت له عن حياتها. عن أبيها المسافر دائماً. عن زواجه بغير أمها. عن زواج أمها بغير أبيها. عن رؤيتها لأبيها مرات معدودات طوال حياتها.

حكت له عن معاناتها بمدرسة «المير دو ديو». عن الراهبة مارى روز التى تحبها كأمها. قصت عليه كل ما كانت تود قَصَّه طيلة طفولتها ومراهقتها ولم تتمكن من الإفصاح عنه. كانت تطلب منه أن يشترى لها الشيكولاته فى كل لقاء. لم يكن يجرؤ على النسيان بعد أن تكدرت ذات مرة لنسيان الشيكولاته وأفسدت اللقاء. كان يحلو لها أن تتدلل معه، وأن تمارس معه كل رغباتها النزقة

(١٣٣)

بعد أن أكمل تأثيث مكتبه بالمهندسين، عهد فاروق إلى مكتب مسيو چينو للديكور بتجهيز شقتهم بعمارة المهندس عبد الهادى النجار بالزمالك. قرر فاروق أن يستقر مع ملك والأولاد بالقاهرة. بدأ فى اتصالات مكثفة وأخذ فى تكوين شبكة من العلاقات العامة بعد غيابه الطويل عن مجال الأعمال بالقاهرة. توجس قليلاً بعد انتفاضة ١٨و ١٩ يناير لكنه سرعان ما حزم أمره بعد نزول قوات الجيش إلى العاصمة وسيطرتها على الأحداث. عاد إلى طرابلس وأبلغ ملك بقراره لتعد نفسها للعودة إلى القاهرة والاستقرار فيها. رحبت ملك بفرحة غامرة. كانت تحلم بالحياة الاجتماعية الغنية بالقاهرة. بدأت فى شراء لوازمها المتاحة بطرابلس وقررت أن تسافر إلى باريس لشراء بقية لوازم البيت بالقاهرة. كانت تستريح إلى التسوق من باريس.

fb/mashro3pdf

(١٣٤)

التحقت فاتن بكلية الآداب بعد نجاحها فى الثانوية العامة واختارت قسم اللغة الفرنسية. سعدت سعادة فائقة بالانطلاق الذى تتيحه الحياة الجامعية. استمتعت بالتغيب عن المحاضرات التى لا تروق لها وبالجلوس فى كافيتريا الكلية. كانت كمن تريد التحدى لحياة الانضباط التى عانت منها بمدارس الراهبات، وذلك بالإغراق فى الخروج عن المألوف وعصيان النظام. تستطيع بذكائها أن تعوض ما فاتها من محاضرات فى وقت قصير. ساعدتها خلفية دراستها الفرنسية فى سرعة استيعاب وتعويض ما يتراكم عليها أحيانا من جراء تغيبها المتكرر عما لا يروق لها من محاضرات.

كان التحاقها بالجامعة واحتكاكها بالطلاب هو البداية لخروج فاتن من دائرة حياتها الضيقة بين شارع الإسكندرانى ومدرسة «المير دو ديو» إلى دائرة الاهتمامات العامة. بدأت فى متابعة المناقشات الحادة للطلاب عن زيارة الرئيس السادات إلى القدس وأصدائها المدوية. انتبهت للمرة الأولى أن الطلاب يهتمون بموضوعات متفرقة لم ترد إلى بالها فى حياتها الرتيبة من قبل. مناقشات سياسية، اختلافات واتفاقات، شباب ملتحون وجماعات دينية، طالبات محجبات وأخريات سافرات. جامعة تموج بمختلف المشارب والاتجاهات وتتحدث عن موضوعات جديدة عليها كالصراع العربى الإسرائيلى والفتنة الطائفية. تابعت كل ذلك بشغف الذى يطلع على أمور جديدة متنوعة، لكنها ما لبثت أن فقدت اهتمامها بكل ذلك الضجيج واستغرقت فى الاستمتاع بحياة التحرر والانطلاق.

(١٣٥)

تابع صلاح بك بدران سعاد فى حياتها بإلحاح شديد. يتصل بها تليفونيا عدة مرات فى اليوم الواحد. يعرف جميع تحركاتها بالتفصيل، يعرض أن يمر عليها لتوصيلها إلى المكان الذى تريده. يترك جميع أعماله ويصاحبها فى زياراتها للقاهرة.

fb/mashro3pdf

يوصلها إلى منزل والدتها بجزيرة بدران ثم ينتظرها بالفندق حتى تتم زيارتها. يعود ليأخذها فى الموعد الذى تحدده. لم يكن يترك لها فرصة للتفكير فى أى من مشاغل الحياة. هو متواجد دائماً ومستعد لتقديم خدماته قبل أن تطلبها. أصبحت لا تفكر بدونه ولا تتحرك إلا إذا اعتمدت عليه. سلب عقلها وإرادتها تماماً بمتابعته الدءوب. تعلق بها وكان شديد الغيرة عليها. يؤرقه فارق السن بينهما. لقد تعدى الستين واشتعل رأسه بالشيب. مازالت سعاد فى قمة نضارتها، خاصة بعد صباغة شعرها. دفعتها مصاحبتها لنادية إلى الاهتمام بمظهرها وبأزيائها. تتزيا بأحدث الموضات وتستعمل أغلى أنواع العطور. استوت امرأة ناضجة مجربة شديدة الإثارة. أشبع أنوثتها شدة اهتمامه بها وغيرته عليها، رغم أنها شعرت بالضيق فى بعض الأحيان من ملاحقته لها ومتابعته لتصرفاتها وتحركاتها. عرض عليها الزواج، تمنعت لترضى كبرياءها، ألح عليها، أغدق عليها الهدايا، أبدت استعدادها للتفكير بجدية فى الأمر. طلبت منه أخيرا أن يتحدث إلى أخيها. لقد عاد فاروق للاستقرار فى القاهرة ويمكنه أن يذهب إليه فى بيته بشارع شجرة الدر أو فى مكتبه بالمهندسين.

(١٣٦)

استيقظ عوض افندى ولم يستطع أن ينهض من الفراش. انهمرت الدموع من عينيه وهو يكتشف أنه لا يستطيع أن يحرك نصفه الأيسر. نادى على الست فتحية فأيقظها من نومها. نهضت الست فتحية مفزوعة وهرولت إلى شقة الست أم فايز جارتها لتستجير بها. أرسلت الست أم فايز ابنها فايز ليحضر طبيبا بعد أن أيقنت أن عوض افندى قد أصيب بالشلل. لم يستطع فايز أن يعثر على طبيب فى تلك الساعة المبكرة. اتصلت بمنزل فاروق فى الزمالك وأبلغته الخبر.

حضر فاروق بعد أن انتصف النهار وبصحبته أحد الأطباء. أبلغه الطبيب أنها حالة جلطة فى المخ نتج عنها شلل نصفى وكتب له العلاج. نصحهم بنقله إلى المستشفى لمزيد من الرعاية ولكن الست فتحية أصرت على بقائه بالمنزل ما دام أن سيتعاطى الأدوية اللازمة. ستقوم هى برعايته ما دامت الحالة مستقرة.

fb/mashro3pdf

(١٣٧)

حضرت سعاد متعجلة عندما علمت بالنبأ. صحبتها فاتن فى سيارة صلاح بك بدران. ارتمت على أبيها واحتضنته وهى تبكى بكاء حارا. استرجعت مأساتها وصدمتها يوم وفاة زوجها المرحوم سامى العلايلى. جاء فاروق فى المساء وطمأنهم بأن الطبيب أبلغه أنه بعد مرور الفترة الحرجة، سيبدأ فى جلسات العلاج الطبيعى التى يمكن أن تؤدى إلى تحسُّن حالته كثيراً. أفادهم بأنه سيرتب له طبيبا للعلاج الطبيعى، يحضر إلى المنزل يومياً بمجرد أن يسمح الطبيب المعالج بذلك.

تابعت فاتن أباها فى لامبالاة وهو يشرح لسعاد وللست فتحية الموقف. عندما ودعهم مدت إليه يدها فى فتور، أسلمته وجهها ليقبله دون شعور.

(١٣٨)

مرت فاتن على والدتها بالترعة البولاقية. استقبلتها عزيزة بود وترحاب واحتضنتها بحرارة. كانت فاتن تتعامل معهم كالمخدرة. استسلمت لوالدتها دون انفعال حقيقى.

علمت من والدتها أن فاطمة قد عادت من بيروت بعد بداية الحرب الأهلية. أبلغتها أنها تعمل بكافيتريا بشارع قصر النيل وتسكن فى الهرم مع صديقة لها. الشقة ضيقة بالترعة البولاقية خاصة بعد أن كبرت ليلى وماجدة. على أيضاً مازال يسكن معهم وإن كان على وشك الزواج من ابنة الأسطى الذى يعمل معه. عادت فاطمة بعد بداية الحرب الأهلية بلبنان. علمت باحتياج الكافيتريا التى تعمل بها إلى فتيات للعمل. كافيتريا بالدور الثانى بإحدى عمائر شارع قصر النيل. خليط بين الكافيتريا والبار، يرتادها بعض الحرفيين والبسطاء. إضاءة خافتة وموسيقى صاخبة منبعثة من المسجل. يقوم بالخدمة فيها فتيات يتعاملن بدلال وإغراء مع الزبائن ليدفعنهم إلى التردد على المكان طمعاً فى خطب ودّهنّ.

فى المساء عادت فاتن بصحبة سعاد وصلاح بك إلى الإسكندرية.

fb/mashro3pdf

(١٣٩)

دعا فاروق فاتن لحضور حفل عيد ميلاد أخيها فريد. لم تتحمس فاتن فى بداية الأمر. هى ليست معتادة على الذهاب إلى شجرة الدر.

رضخت للذهاب بعد إلحاح أبيها. استقلت ديزل الصباح المتجه إلى القاهرة وتوجهت بالتاكسى إلى الزمالك.

طرقت باب شقة أبيها وهى تشعر بمزيج من الانقباض والغربة. فتحت لها الخادمة وسألتها عمن تريد، خادمة جديدة لا تعرفها. لم تعرف كيف تجيبها. قالت لها فى ضيق:

– أنا فاتن، ابنة فاروق بك.

دعتها الخادمة إلى الدخول وقادتها إلى غرفة الضيوف.

تأملت فاتن الغرفة الفاخرة الأثاث وجدرانها المزينة باللوحات الزيتية القيمة. الصمت يجثم على المكان. مر الوقت بطيئاً وثقيل الوطء. فكرت فى أن تنهض وتغادر المكان هرباً من إحساسها بالاختناق. دخلت ملك تتهادى وهى فى كامل زينتها. مدت يدها إليها فى عظمة وهى ترحب بها:

– أهلاً يا فاتن .. Comment vas tu?

ردت عليها فاتن بصوت مهزوم:

– الحمد لله .. كيف حال فريد وفادى؟

– ذهبا إلى النادى مع «الشوفور».

تواصل الحديث بينهما بلا مضمون. بعد انتهاء حفلة عيد الميلاد، اعتذرت فاتن عن البيات فى بيت والدها. تعللت بأنها وعدت جدتها بزيارتها والبيات طرفها.

(١٤٠)

التحق فاروق بعضوية نادى الروتارى وواظب على حضور اجتماعات الثلاثاء بفندق هيلتون النيل. انضمت ملك إلى عضوية نادى الإينرهويل كزوجة لفاروق. وزعت

fb/mashro3pdf

وقتها بين الذهاب إلى نادى الجزيرة للعب الجولف، والمشاركة فى أنشطة الإينرهويل. مساء الأحد والأربعاء، تجتمعن فى منزل صديقتهن ساندرا، حيث موعد پرتيتة البوكر. تقضى فصل الصيف مع الأولاد فى ڤيلا العجمى، منذ نهاية الامتحانات وحتى بداية دراسة الأولاد. فى إجازات فصل الشتاء، تذهب إلى ڤيلا الغردقة.

(١٤١)

اتُّهمت فاطمة فى قضية دعارة وحكم عليها بالسجن عامين. وقع الخبر على عزيزة ومسعد كالصاعقة. ترك على المنزل وتبرأ منهم جميعا. لم يستطع الأسطى توفيق أن يتحمل الصدمة. لزم المنزل ولم يقدر على الذهاب إلى الصالون. ترك الصالون لمسعد وقضى معظم النهار نائماً لا يغادر السرير.

تأثرت فاتن عندما علمت بالخبر فى زيارتها التالية لوالدتها ثم نسيت الموضوع تماماً وهى فى طريق عودتها إلى الإسكندرية.

(١٤٢)

تقدم صلاح بك بدران إلى فاروق يطلب الزواج من سعاد. أبلغت سعاد فاروق مسبقاً بزيارة صلاح بك له. رحب فاروق بصلاح بك وتم الاتفاق على الزواج. انتقلت سعاد إلى ڤيلا صلاح بك بكفر عبده برشدى.

طلبت فاتن أن تظل فى شقة شارع الإسكندرانى بمفردها. وافق أبوها على طلبها نظراً لأن البديل الآخر هو أن تنتقل إلى القاهرة لتعيش معه. أراد أن يتفادى أية احتمالات للخلاف بين ملك وفاتن. أهدى فاروق سيارة پيجو ٥٠٤ إلى فاتن لتسهيل انتقالاتها. التحقت فاتن بمدرسة لتعليم القيادة وبدأت فى ممارسة حياتها المستقلة عن الجميع. عاشت بمفردها وترددت عليها الست أم مصطفى الشغالة مرتين أسبوعيا للتنظيف ورعاية شئون البيت.

fb/mashro3pdf

(١٤٣)

واظب عوض افندى على جلسات العلاج الطبيعى. استجاب للعلاج وبدأ فى التحسن التدريجى. بدأ فى السير بمساعدة إخصائى العلاج الطبيعى الذى يحضر إليه يوميا. بدا كالطفل الذى يتعلم المشى حديثاً. تحسنت خطواته وبدأ الإخصائى فى تدريبه على نزول درجات السلم وإعادة ارتقائه. كان عوض افندى يمتلك رغبة عارمة فى الشفاء ساعدته على سرعة التقدم فى العلاج. بعد مرور عام على إصابته، أصبح يتحرك فى المنزل بمفرده. يذهب إلى دورة المياه ويجلس مع الست فتحية فى غرفة القعاد. أرادت سعاد أن تأخذه إلى الإسكندرية للاستجمام عندها ولكن الست فتحية أبت أن توافق على أن يغادر منزله. كانت تتوجس أن يحدث له أى طارئ وهو بعيد عن بيته.

(١٤٤)

«اشتقت إليك فعلمنى ألا أشتاق .. علمنى كيف أقص جذور هواك من الأعماق».. ذرفت فاتن دمعة وهى تستمع إلى الأغنية المنبعثة من مسجل سيارتها أثناء عودتها من الجامعة. لم تستطع أن تتغلب على حزنها لوفاة عبد الحليم حافظ رغم مرور أكثر من عام على موته. كانت شديدة التعلق به وتحتفظ بشرائط جميع أعماله.

(١٤٥)

مر أمجد على فاتن بالكلية بعد أن أنهت محاضراتها. أخبرها بعد أن استقلا السيارة أنه قد صدر قرار بنقله إلى السويس. صدم الخبر فاتن فأوقفت السيارة وسألته:

– ما العمل إذن؟

أجابها وهو شارد التفكير:

– لابد أن أنفذ النقل فوراً.

عادت وسألته مستفسرة:

fb/mashro3pdf

- وكيف سأراك؟

أجابها وهو يشعر بالحيرة والانقباض:

- سأحضر إلى الإسكندرية أسبوعياً.

أدارت محرك السيارة واتجها إلى منزل سامح وهما فى حالة من القلق والوجوم.

(١٤٦)

لم يحضر أمجد لمدة ثلاثة أسابيع إلى الإسكندرية. كان قلق فاتن شديدا عندما مر يوم الخميس الأول بعد سفره، ثم يوم الجمعة دون أن يظهر. غضبت منه وتوعدته عندما يحضر فى الأسبوع التالى. لم تذهب إلى الكلية صباح الخميس التالى. اعتصرها القلق على أمجد .. ماذا حدث له؟ .. أيكون قد أصيب فى حادثة .. لماذا يقضى إجازته فى السويس؟ .. هل تعرّف على امرأة أخري؟ .. ثلاثة أسابيع عصيبة مرت على فاتن. لم تستطع فيها المذاكرة أو التركيز فى المحاضرات. أصيبت بقلق دائم. أصابها الأرق ليلاً فكانت تنام بصعوبة. نصحتها زميلة لها فى الكلية بتناول أقراص مهدئة وأعطتها علبة «ڤالينيل». أصبحت تدخن بشراهة وشحب لونها من جراء عدم الاستغراق فى النوم. عندما حضر أمجد بعد ثلاثة أسابيع ثارت عليه وأبت أن تذهب معه إلى شقة سامح فى اليوم الأول. اعتذر لها بأنه لم يسمح له بالإجازة الأسبوعية طيلة المدة السابقة بسبب تسلمه لعمله وتكليفه بمهمة لم يستطع معها أن يفى بوعده لها وأن يحضر إلى الإسكندرية فى الإجازة الأسبوعية.

هدأت فاتن فى اليوم التالى. أمضيا معا اليوم حتى حلول المساء بشقة سامح. فى المساء ودعها وغادر الإسكندرية إلى السويس.

(١٤٧)

كان النقاش محتدماً بعد الغداء حول اتفاقية كامب ديڤيد بنادى الجزيرة، عندما استأذن فاروق أصدقاءه فى الانصراف. كان على موعد مع سونيا بشقته الخاصة فى

fb/mashro3pdf

جاردن سيتى. اشترى فاروق الشقة دون علم أحد وجهزها «جارسونيرة» يستقبل فيها صديقاته. كانت سونيا هى المفضلة لديه. صديقة زوجته ملك. أرملة جميلة وشديدة الجاذبية، تقترب من الأربعين وورثت عن زوجها ثروة طائلة. تعيش بمفردها فى شقتها بالمهندسين.

بدأت علاقة فاروق بها عندما أوصلها لمنزلها بسيارته بعد زيارة لهم. سألته المشورة بخصوص قطعة أرض فضاء تمتلكها بمصر الجديدة وتريد بيعها. نصحها فاروق بعدم بيعها وبنائها، ثم بيع الشقق بعد ذلك فتضاعف أرباحها.

عندما أبدت عدم حماسها لمثل هذه المشاريع، عرض فاروق مساعدتها فى المشروع ومشاركتها فيه. تتابعت الاتصالات واللقاءات بينهما ونشأت العلاقة الخاصة، تحت مظلة مشروع عمارة مصر الجديدة.

(١٤٨)

اشترى فاروق شقة لفاتن بعمارة مصر الجديدة التى تم بناؤها فى زمن قياسى. أهداها عقد الشقة والمفتاح يوم عيد ميلادها العشرين. تحدث إليها تليفونياً وطلب منها الحضور إلى القاهرة والمرور عليه بالمكتب. كانت تخطط لقضاء أسبوع بالعجمى مع أصدقائها. غادرت الإسكندرية بسيارتها صباحاً فى طريقها إلى القاهرة. توجهت إلى مكتب فاروق فأفادتها سكرتيرته أنه فى اجتماع هام. انتظرت فاتن بغرفة السكرتيرة حتى انتهى الاجتماع. قبلها فاروق وسحبها من يدها إلى داخل المكتب، أعطاها عقد الشقة والمفتاح واستأذنها وهو يقبلها فى الانصراف نظرا لانشغاله بموعد هام مع المحافظ. ودّعته واستقلت سيارتها عائدة إلى العجمى.

(١٤٩)

اعتادت فاتن على تغيب أمجد بالسويس. تباعدت مرات زياراته إلى الإسكندرية. لم يلفت نظر فاتن أى من زملائها بالجامعة. شعرت أنهم مازالوا صغاراً ولم يبلغوا نضج

fb/mashro3pdf

الرجولة بعد. لم تشعر أنها تستطيع أن تصادق أو تحب شاباً فى مثل عمرها. هى تحتاج لرجل ناضج. الذى جذب أنظارها بوسامته وقوة شخصيته هو الدكتور رامز فطين المدرس بالكلية. رجل وسيم يقترب من الأربعين، ذو شارب كثيف ونظرة واثقة. كانت تفتعل المناسبات لتذهب إليه فى غرفة مكتبة وتستفسر منه عن أى موضوع دراسى. لمحته خارجاً بمفرده من الكلية فعرضت عليه أن توصله بسيارتها. علمت من حديثه معها أنه يعيش بمفرده فى شقة الأسرة بجليم بعد وفاة والدته. فهمت من الحديث أنه غير متزوج. أوصلته إلى محطة مصر حيث كان سيستقل الديزل المتجه إلى القاهرة فى شأن عائلى.

(١٥٠)

تدهورت صحة عوض افندى تدهوراً مفاجئاً بعد التحسن الذى كان قد طرأ عليه. لازم الفراش ووهنت صحته. لم يعد يقوى على مغادرة الفراش. استيقظت الست فتحية مبكرة كعادتها صباح يوم من أيام شهر يناير القارصة فوجدته قد فارق الحياة. اتصلت بفاروق بمنزله، كان نائماً فطلبت إيقاظه لإبلاغه الخبر. اتصل فاروق بسعاد وفاتن بالإسكندرية. حضر الجميع قبل موعد الجنازة بعد صلاة الظهر.

فى اليوم التالى، تلقى فاروق العزاء بجامع عمر مكرم. حضر جمع غفير للعزاء مجاملة لفاروق، الذى أصبح من رجال الأعمال المرموقين.

بعد انقضاء العزاء، مرت فاتن على والدتها وأختيها بالترعة البولاقية لتوديعهم، قبل عودتها إلى الإسكندرية. علمت من عزيزة بسفر أخيها على وزوجته إلى العراق للعمل هناك. ودعتهم فاتن بعد أن تركت نقوداً لوالدتها وأختيها ليلى وماجدة كعادتها كلما جاءت لزيارتهم.

(١٥١)

لاحظ الدكتور رامز فطين اهتمام فاتن به. بعد أن انتهى من إجابة استفساراتها بغرفة مكتبه بالكلية دعاها للغداء فقبلت دعوته. استقلا سيارتها وتوجها إلى نادى

fb/mashro3pdf

اليخت. تبادلا الأحاديث المعتادة، سألها عن أسرتها وعرف أنها تقيم بمفردها بعد زواج عمتها التى كانت تعيش معها. عندما سألها عن أبيها أبلغته أنه يعمل بالخارج، ويمتلك شركة فى ألمانيا حيث يقيم إقامة دائمة. أوضحت له أن والدها شديد الثراء، وأنها قد تسافر إلى ألمانيا بعد التخرج، لتقيم مع والدها وأخويها فريد وفادى. لاحظ الدكتور رامز أن اسمها واسمى أخويها يبدأون جميعاً بحرف الفاء مثل اسم والدها. أثنت على قوة ملاحظته وهما يغادران نادى اليخت بعد الغداء.

(١٥٢)

تعددت لقاءات فاتن والدكتور رامز فطين. اعتادا على اللقاء بكافيتريا فندق سيسل وسط المدينة بعد الظهر. اعترفت له بإعجابها به. أسعدها أنه يبادلها الإعجاب. عندما استقلا السيارة أمسك بيدها وقبلها. استسلمت له وهى تنظر إليه بنداء ورغبة. اتجها إلى منزله بجليم. دعاها إلى فنجان شاى فوافقت على الفور.

انتظرت بغرفة الصالون حتى يعد الشاى. أبلغها أنه تعود على خدمة نفسه. لا يفضل أن تقيم معه شغالة بالمنزل. بعد أن شربا الشاى تجول بها ليريها الشقة. عندما وصلا إلى غرفة النوم مال عليها وقبلها فاستجابت له. تعانقا عناقا طويلاً ثم قادها برفق إلى الفراش.

سألها هامساً إن كانت عذراء فهزت رأسها بالنفى.

(١٥٣)

اعتادت فاتن زيارة الدكتور رامز بمنزله بجليم. عندما دعته لزيارتها بشقتها بشارع الإسكندرانى، رفض وفضّل أن تكون لقاءاتهما بجليم. كانت فاتن فى السنة النهائية بكلية الآداب. بدأت فى الاستعداد لامتحانات الليسانس. قبل أن تبدأ الامتحانات، حضر أمجد من السويس يوم الخميس السابق على الامتحانات. خرج إلى الشرفة وتطلع إلى نافذة فاتن. كانت تستذكر دروسها استعدادا للامتحانات. عندما رأته

fb/mashro3pdf

نهضت إلى الشرفة لتحيته. أشار إليها بأن تتبعه. ارتدت ملابسها سريعاً ونزلت للقائه. كانت الساعة قد جاوزت التاسعة مساء. أبلغته أنها لن تتمكن من رؤيته فى اليوم التالى بسبب الامتحانات فتوجها معاً إلى شقة سامح بلوران. أمضت الليلة معه وعادا إلى شارع الإسكندرانى فى الصباح.

(١٥٤)

اتسعت أعمال فاروق وتعددت نشاطاته. اشتملت شركته على أقسام للمقاولات وللمشروعات السياحية بالإضافة إلى الاستيراد والتوكيلات التجارية. بدأ بمصر مع أوائل عهد الانفتاح الاقتصادى واستطاع أن يكون من الأوائل الذين يجنون ثمار الانفتاح. ساعدته شركته بألمانيا على الحصول على توكيلات أكبر الشركات العالمية. كوّن شركة بواشنطن لترتيب الحصول على نصيب من مشروعات المعونة الأمريكية لمصر. كان دائم التنقل بين القاهرة وواشنطن وهامبورج. استأجر شقة ليقيم بها فى واشنطن واعتاد أن يقيم بهامبورج فى منزل صديقته الألمانية ماريان.

(١٥٥)

نجحت فاتن بتقدير جيد ونالت ليسانس الآداب قسم اللغة الفرنسية. ذهبت إلى الدكتور رامز بمكتبه لتبلغه النتيجة، هنأها واتفقا على اللقاء مساء للاحتفال بنجاحها. دعاها إلى العشاء بمطعم «لوردز إن» بسان استيفانو. مرت على عمتها سعاد برشدى وأبلغتها بنجاحها. أصر صلاح بك على الاحتفال بها ودعوتها على العشاء فاعتذرت بلباقة وتعللت بارتباطها بموعد مع أصدقائها. وعدت بقبول الدعوة فيما بعد. عادت إلى شارع الإسكندرانى وهى تشعر بالسعادة لانتهائها من الدراسة. نامت القيلولة ثم استيقظت لتستعد لموعد الدكتور رامز. مرت عليه بالمنزل واصطحبته إلى مطعم «لوردز إن».

أمسية بديعة على صوت الموسيقى وفى كنف الأضواء الخافتة، تشعر اليوم شعوراً

fb/mashro3pdf

جديداً هو خليط من الانعتاق والاستقلال والحرية والخلاص. بعد نهاية السهرة، عادت مع رامز إلى منزله وأمضت الليلة معه. تركها نائمة حتى الصباح وغادر المنزل إلى الكلية بعد أن ترك لها رسالة يبلغها فيها بأنه سيعود فى الثانية بعد الظهر ويتمنى أن تنتظره حتى يعود.

(١٥٦)

استيقظت فاتن والنهار قد شارف على الانتصاف. نهضت متكاسلة واتجهت إلى المطبخ. بحثت عن القهوة وأعدت لنفسها فنجانا من النسكافيه. أخذت حماما سريعا ثم ارتدت ملابسها وغادرت المنزل. استقلت سيارتها وسارت على طريق الكورنيش فى اتجاه المنتزه.

شهر يوليو يلملم أطرافه مع بشائر الرطوبة الخانقة لشهر أغسطس. الطريق مزدحم بالسيارات والمصطافون يملئون الشواطئ والطرقات. عندما بلغت قصر المنتزه، استدارت عائدة إلى وسط المدينة.

سارت السيارة ببطء بين صفوف السيارات التى تتهادى على طريق الكورنيش مما أعطى فاتن الفرصة للتفكير والتأمل. جالت بأفكارها بين الماضى وبين احتمالات المستقبل. شعرت بالجوع فجأة. عندما وصلت إلى مطعم سان جيوفانى قررت التوقف لتناول الغداء. اختارت مائدة فى عمق المطعم وجلست تطالع صفحة الماء المتماوج أمامها والممتد حتى نهاية الأفق.

هى الآن فى مفترق الطرق. ماض مضطرب قد ولى وانقضى ومستقبل غامض يطرق باب حياتها. أبوها طائر فى أرجاء الدنيا وأمها تربى أختيها غير الشقيقتين فى الترعة البولاقية. أخواها من أبيها يعيشان مع أمهما بالزمالك وأختها فاطمة أنهت عقوبة السجن فى قضية آداب ولا تعرف مكانها الآن. جدها حلاق بجزيرة بدران وأبوها مليونير يلعب بالفلوس لعباً وقد يكون الآن مليونيراً. عمتها التى ربتها وتكفلت

fb/mashro3pdf

بها تزوجت وانتقلت للحياة مع زوجها وهى تقبع وحيدة بشارع الإسكندرانى بمحرم بك... ترى هل تحب أمجد؟ .. هل أحبته فى الماضى عندما تعلقت به تعلقا جنونيا؟ .. لماذا بدأت فى الشعور بالفتور تجاهه؟ ... حب إيه اللى انت جاى تقول عليه ... لماذا أعجبت برامز؟ ... ثم ... ثم لماذا بدأت تشعر باللامبالاة تجاهه أيضاً؟ ... طظ فى جميع الرجال ... ترى من منهما أفضل فى الفراش؟ ... أمجد أكثر قوة واحتواء ... رامز رومانسى وحنون ... أيهما تفضل القوة والاحتواء أم الحنان والعذوبة ... تشعر أن ما تريده هو شيء آخر ... ربما يكون رجلاً آخر.

أنهت طعامها ثم طلبت فنجانا من القهوة. أشعلت سيجارة وتساءلت فى حيرة ... «ماذا بعد» ؟ ...

فرغ المطعم تقريبا من الرواد. انتبهت لذلك فطلبت الحساب ثم غادرت المطعم وهى لا تدرى إلى أين تتوجه.

(١٥٧)

انتبهت فاتن وهى تقود سيارتها بأنها تفتقر إلى الصداقات الحميمة. لو كانت لها صديقة حميمة تستطيع أن تتعرى أمامها لتوجهت إليها على الفور. تعجبت للأمر. كيف وصلت بها الأمور إلى هذا الحد؟. كل علاقاتها لا تندرج تحت بند الصداقة الحميمة. هى علاقات عابرة وزمالة دراسة. انتبهت إلى أن علاقاتها بزملائها الرجال أكثر توفيقاً من علاقاتها بالنساء. هى تميل فى الحقيقة إلى صداقة الرجل أكثر من صداقة المرأة. تجد نفسها بينهم ... ترتاح إلى أحاديثهم ... تنجذب لا إراديا إلى صحبتهم. دون أن تنتبه وصلت إلى منزلها بشارع الإسكندرانى. دخلت إلى المنزل بدون حماس. خلعت ملابسها ونامت عارية فى فراشها.

fb/mashro3pdf

(١٥٨)

لم تجد فاتن رغبة فى الذهاب إلى القاهرة لإبلاغ والدها بنتيجة نجاحها وحصولها على الليسانس. شعرت أن نجاحها أو رسوبها سيان عنده. لن يستمع إلى الخبر باهتمام. سيطلب منها المرور عليه بالمكتب. يعطيها هدية قيمة يكون قد كلف سكرتيرته بشرائها وينتهى الموضوع. أرجأت الذهاب إلى القاهرة إلى وقت آخر.

(١٥٩)

بدأت فاتن فى التفكير الجدى فى البحث عن عمل. كانت تسعى إلى الاستقلال المادى عن أبيها. لا تريد أن تعتمد عليه. استعرضت نوعيات العمل التى يمكن أن تتجه إليها. هى لا تحب مهنة التدريس، لذلك استبعدت فكرة العمل كمدرسة فى إحدى مدارس اللغات.

فى زيارة لعمتها سعاد برشدى، أبلغها صلاح بك بدران بأن صديقه سعيد بك عاصم، صاحب شركة الإسكندرية العالمية للتوكيلات الملاحية، أبلغه بأن يحتاج إلى سكرتيرة جامعية تجيد اللغة الفرنسية بعد حصوله على توكيل لشركة فرنسية للنقل البحرى. قال لها صلاح بك، إن سعيد بك عاصم رجل أعمال ناجح وشركته تعتبر من الشركات ذات السمعة الممتازة فى العمل وفى تقدير العاملين بها، لذلك فهو يتوقع حصولها على راتب جيد. عرض عليها استعداده لترتيب موعد لها مع سعيد بك فشكرته لاهتمامه وأبلغته أنها فى انتظار تحديد الموعد.

(١٦٠)

أبلغ صلاح بك فاتن بالموعد. التاسعة صباح الخميس. أملى عليها عنوان مكتب سعيد بك بالمنشية. استيقظت فاتن مبكرة صباح الخميس واستعدت للذهاب لموعدها مع سعيد بك. ارتدت طاقماً فاخراً أبيض اللون، كان والدها قد أحضره لها من

fb/mashro3pdf

الخارج فى إحدى رحلاته. اعتنت بزينتها إلى أقصى حد. استقلت سيارتها وتوجهت إلى مكتب سعيد بك. قبل التاسعة بخمس دقائق كانت تقف أمام سكرتيرته. أبلغتها بأنها على موعد مع سعيد بك فدعتها للانتظار ريثما تبلغه بحضورها. فتحت السكرتيرة باب سعيد بك ودعتها إلى الدخول.

نهض سعيد بك لاستقبالها. رجل أنيق أشيب الشعر ومتوسط الطول. مد يده لتحيتها وهو ينظر إلى عينيها بثقة وترحيب. دعاها للجلوس وضغط على الجرس المجاور لمكتبه. دخل الساعى وتوجه إلى فاتن أولاً. طلبت فاتن فنجاناً من القهوة وطلب سعيد بك مشروبه المفضل، فنجان من النعناع الساخن.

تبادلا الحديث عن طبيعة العمل الذى شرحه لها باختصار. أعجب سعيد بك بأسئلة فاتن واستفساراتها اللماحة. أسعده أنها درست بمدرسة «الميرـ دو ديو» ثم واصلت بكلية الآداب دراسة اللغة الفرنسية وآدابها. استبشر بها خيراً واتفقا على أن تبدأ العمل منذ بداية الأسبوع صباح الإثنين التالى. لم تكترث فاتن لكون الإجازة الأسبوعية للشركة يوم الأحد بدلاً من يوم الجمعة.

(١٦١)

عادت فاتن إلى المنزل لاستبدال ملابسها استعداداً للسفر إلى القاهرة. جهزت حقيبة ملابسها واستقلت سيارتها فى اتجاه الطريق الصحراوى. كانت منفعلة بعملها الجديد وبداية حياتها العملية. من فرط حماسها وانشغال فكرها لم تتوقف للراحة بالرست هاوس.

وصلت إلى القاهرة عصر ذلك اليوم القائظ من أيام شهر أغسطس اللزجة. توجهت إلى جزيرة بدران حيث اعتادت المبيت مع جدتها الست فتحية. بشت الست فتحية لرؤية فاتن وقادتها إلى غرفة القعاد وهى تسير بصعوبة مستندة على قطع الأثاث والجدران. الروماتيزم اللعين تمكن من ركبتيها وازدادت آلامه فى السنوات الأخيرة مما

fb/mashro3pdf

صعب حركتها كثيراً وساعد على ازدياد وزنها. أخبرت جدتها بخبر نجاحها فاستدارت واحتضنتها حضنا حميماً وهى تتمتم فى فرحة مشوبة بالأسى:

– بركة يا بنتى ... ألف مبروك يا فاتن.

(١٦٢)

أطلقت عزيزة زغرودة طويلة مترعة بالفرحة عند سماعها نبأ نجاح فاتن وحصولها على الشهادة. احتضنتها طويلاً وبكت فى حرارة وانفعال. جاءت ليلى لتبارك لأختها وهى فخورة بها:

– ألف مبروك يا فاتن.

– العقبى لك يا ليلى ... العام القادم الثانوية العامة.

– دعواتك يا فاتن، أحتاج لدعوات الجميع.

قالت لها فاتن وهى تربت عليها:

– أنت دائما متفوقة يا ليلى، ستصبحين محامية عظيمة.

أجابتها ليلى وهى تتطلع إلى السماء:

– يارب ..

كانت ليلى متفوقة فى دراستها وترغب فى دخول كلية الحقوق. وعدها مسعد بإكمال دراستها وإلحاقها بكلية الحقوق إذا استمرت على تفوقها واجتازت عقبة الثانوية العامة الكأداء. فرحة مسعد بها كبيرة ودائماً يقول لعزيزة إنه سيلحق ليلى بالجامعة مهما كلفه ذلك من مشقة وتكاليف.

(١٦٣)

توجهت فاتن صباح الجمعة إلى الزمالك. كانت تغالب نفسها لتنهى هذه المهمة. أوقفت سيارتها أمام العمارة الفخمة التى يقطن بها والدها بشارع شجرة الدر.

fb/mashro3pdf

صعدت الدرجات القليلة المفضية إلى المصعد بتثاقل. توجهت إلى شقة والدها وقرعت الجرس.

فتحت الخادمة الباب وتكرر نفس المشهد الثقيل على نفس فاتن. الخادمة جديدة، تسألها من تكون، تجيبها بأنها فاتن ابنة فاروق بك، تدعوها للدخول، تنتظر فى غرفة الصالون الكئيبة حتى تحضر ملك هانم.

جاء فادى مهرولاً عندما سمع بوجود فاتن. فادى طفل متوثب ودود. يسأل والده دائماً عن أخته فاتن المقيمة بالإسكندرية مع عمته سعاد. أسئلته كثيرة ومشاكساته فكهة. «لماذا لا تجيء فاتن للإقامة معنا؟ .. لماذا تقيم بالإسكندرية مع عمتى سعاد؟ ... لماذا لا أذهب لأقيم معها بالإسكندرية؟»، أسئلة تحرج فاروق وتدفعه إلى المناورة فى الإجابة عليها.

فادى هو الشخص الوحيد الذى تحب فاتن أن تراه فى منزل شجرة الدر. المرات التى رأته فيها تعد على أصابع اليدين، لكنه يترك بصمة فى ذاكرتك بنظراته اللامعة وروحه الوثابة. تتذكره دائماً فترتسم ابتسامة على ثغرها.

قفز فادى إلى حضنها واستسلم لقبلاتها. أمطرها بالأسئلة كعادته وأشعرها بالإحراج عندما سألها عن الشيكولاته. لقد نسيت أن تحضر لهما الحلوى بناء على طلب فادى المتكرر. جاء أخوها الأكبر فريد بصحبة أمه ملك هانم التى دخلت تتهادى فى روب حريمى أزرق اللون. قبلتها فاتن وقبلت فريد الذى جلس فى رزانة بجوار والدته. كان فريد، على العكس من فادى، طفلا رزيناً هادئاً قليل الكلام. علامات الذكاء تشع من عينيه ويعطى انطباعاً بأنه أكبر من سنه.

علمت فاتن من ملك هانم بأن أباها فى رحلة عمل طويلة سيعود منها بعد أسبوعين. هنأتها ملك هانم على نجاحها وسألتها عن مشروعاتها للمستقبل. أبلغتها فاتن بالتحاقها بالعمل فى إحدى شركات الملاحة بالإسكندرية.

fb/mashro3pdf

(١٦٤)

قضت فاتن بقية النهار مع جدتها الست فتحية، استمتعت بحكاياتها وأحاديثها عن الجيران والمعارف وبطهيها الشهى، كانت تعشق ملوخية جدتها، أعدت الست فتحية على الغداء صينية رقاق وملوخية بالفراخ. طلبت منها طبقاً من الفتة وصينية الكنافة التى تشتهر بها الست فتحية. وعدتها جدتها بتجهيز جميع طلباتها فى اليوم التالى. فى المساء توجهت لزيارة عزيزة وتوديعها هى وأختيها. علمت أن ماجدة بدأت فى التردد على دروس التفصيل. أنهت ماجدة دراستها الإعدادية بصعوبة. لم تلحق بالدراسة الثانوية وفضلت تعلم التفصيل على مواصلة التعليم الذى لا تميل إليه.

(١٦٥)

بعد تناول الغداء الشهى، ودعت فاتن الست فتحية واستقلت سيارتها فى طريق العودة إلى الإسكندرية. ستبدأ عملها الجديد بعد يومين. ترى، هل ستستريح لعملها الجديد؟ ... تساءلت فاتن وهى تقود سيارتها وحولها الصحراء مترامية الأطراف على مدى النظر. هى تريد أن توفق فى عملها الجديد. تريد أن تشعر بالاستقلال المادى. تود لو تستطيع الاعتماد على نفسها. لا تريد أن تعتمد على أبيها. متى تستطيع بلوغ تلك الغاية. كان هذا الهاجس يسيطر عليها ويعطيها قوة دفع هائلة. تريد أن تنجح، أن تكسب من عملها ما يسمح لها بعيشة كريمة دون الاعتماد على إمكانيات أبيها.

(١٦٦)

استيقظت فاتن مبكرة صباح الإثنين. ارتدت ملابسها وأكملت زينتها ثم انطلقت إلى عملها الجديد بالمنشية.

استقبلها سعيد بك بحفاوة وقدمها إلى موظفى المكتب. رحب بها الجميع وتمنوا لها التوفيق. شرح لها سعيد بك طبيعة العمل بالشركة بالتفصيل والمهمة المطلوبة منها بالنسبة للشركة الفرنسية للنقل البحرى والتى حصلوا على توكيلها حديثا. أفهمها أن

fb/mashro3pdf

معظم المراسلات ستكون باللغة الفرنسية وأن عليها أن تعد له تقريراً أسبوعياً باللغة العربية. تسلمت فاتن ملفات الشركة الفرنسية وشرعت فى تصفحها ودراستها.

(١٦٧)

مرت فاتن على عمتها سعاد فى زيارة سريعة. كان صلاح بك يتابع العرض العسكرى الذى ينقله التليفزيون بمناسبة الاحتفال بحرب أكتوبر. انقطع الإرسال فجأة بعد سماع صوت طلقات الرصاص. نادى صلاح بك على سعاد وفاتن وأبلغهم فى جزع بما حدث.

تناثرت الأخبار والإشاعات عن حادث الهجوم على المنصة أثناء العرض العسكرى. أعلن أخيرا عن وفاة الرئيس السادات متأثر بإصابته رغم محاولات الأطباء المكثفة لإنقاذه.

(١٦٨)

استوعبت فاتن طبيعة عملها الجديد بالاستعانة بتوجيهات سعيد بك. مرت الأسابيع و الشهور وفاتن تقوم بعملها بدقة ومهارة قدرهما لها سعيد بك. بعد ثلاثة أشهر رفع راتبها إلى خمسمائة جنيه شهرياً خلاف المكافآت والحوافز. كانت تحرص على إنجاز كل ما يوكل إليها بسرعة وحسم. لا يعنيها أن تظل بالشركة بعد مواعيد العمل لكى تنجز كل ما لديها من أعمال. كانت تعود إلى البيت منهكة القوى فلا تخرج منه حتى صباح اليوم التالى. تباعدت لقاءاتها مع رامز واقتصرت على عطلة نهاية الأسبوع. تذهب إليه فى جليم مساء السبت وتقضى الليلة معه. رأت أمجد مرة واحدة خلال الأشهر الثلاثة الأولى لعملها عندما عاد لإجازة قصيرة وأمضت معه ليلة بشقة سامح صديقه بلوران. شعرت يومها بتزايد الفتور تجاهه. تباعدت زياراته للإسكندرية وأصبحت لا تراه إلا لماما. كانت تلقاه بالعادة وعدم الرغبة فى التفكير أو

fb/mashro3pdf

الجدل. لماذا تبحث موضوع علاقتها به وهى لا تراه إلا كل عدة شهور. لتكن ليلة وتمضى بلا ضجيج.

(١٦٩)

ضاقت فاتن بالإقامة فى شارع الإسكندرانى. فكرت فى بيع الشقة التى أهداها لها والدها فى القاهرة وشراء شقة صغيرة بحى راق فى الإسكندرية. عزمت على مناقشة أبيها فى الموضوع عند رؤيتها له.

بينما كانت تخطط للسفر إلى القاهرة للقاء أبيها ومناقشته فى الأمر، تلقت مكالمة تليفونية منه، طلب منها أن تحضر إليه بفندق فلسطين، حيث وصل إليه منذ يومين فى زيارة عمل. هنأها على نجاحها وحصولها الليسانس واعتذر لها عن هذه التهنئة المتأخرة نظرا لسفره المتكرر وانشغاله الشديد.

شعرت فاتن ببعض الاضطراب عند سماعها لصوت أبيها فى التليفون. ارتفع نبضها وجف حلقها وهى تتحدث إليه بكلمات قليلة. كانت تستعد لمغادرة المنزل إلى عملها صباحاً عندما تلقت مكالمته. اتفقا على أن تحضر إليه فى المساء قبل مغادرته الإسكندرية صباح اليوم التالى. شعرت بالمرارة والحنق لاتصاله بها بعد يومين من حضوره إلى الإسكندرية وقبل سفره بيوم واحد. ستلقاه لقاء وحيدا ثم يرحل كعادته دون أن تعرف متى تلقاه فيما بعد.

(١٧٠)

اتصل موظف الاستقبال بفاروق ليبلغه بسؤال فاتن عنه. أمره فاروق بأن تصعد إليه فاتن بجناحه الذى يقيم به بالفندق.

دقت فاتن دقات خافتة على باب الجناح وهى تشعر بدقات قلبها اللاهثة وتغالب مشاعرها المتباينة. فتح فاروق الباب وهو يرتدى ملابسه الكاملة. بدلة كحلية أنيقة ورباط عنق أزرق ترصعه نقاط بيضاء. بدأ الشيب ينتشر برأسه وفوديه مما أضفى عليه

fb/mashro3pdf

جاذبية خاصة. فتح ذراعيه لها فدخلت إلى حضنه بتردد وخجل. لم تشعر بألفة العناق. قبلها وهنأها على النجاح ثم دعاها إلى الجلوس.

استفسر منها عن عملها بالإسكندرية واستمع إلى إجاباتها دون انتباه ملحوظ. ترددت فاتن وهى تفاتحه فى موضوع بيع شقة القاهرة لتغيير مسكنها بالإسكندرية. استجمعت شجاعتها وهى تقول له:

– كنت أريد أن أستأذنك فى بيع شقتى بالقاهرة لشراء شقة هنا فى حى أفضل من محرم بك.

– لا تبيعى شقة القاهرة. اتركيها للمستقبل ... أسعار العقارات فى ارتفاع مستمر.

تساءلت فاتن فى حيرة:

– ماذا أفعل إذن؟

أجابها فاروق وهو يبتسم ابتسامة حانية:

– الشركة تبنى عمارة بشارع سوريا. لك شقة هدية الليسانس.

لم تعرف بماذا تجيبه فلزمت الصمت. لم تستطع أن تفرح. نظرت إليه وهو ينهض من مقعده معتذراً بقرب موعده على عشاء عمل. أبلغها أنه سيرتب إجراءات الشقة الجديدة مع مكتبه بالقاهرة الذى سيقوم بالاتصال بها وعمل اللازم. قبلته فى برود وعدم اكتراث وغادرت الجناح.

(١٧١)

استقلت سيارتها وانطلقت فى طريق الكورنيش بلا وجهة محددة. شعورها مزيج من الفرح والغضب والرفض والحزن. ليس كذلك بالضبط. هى تشعر بالعبث. نعم، هو العبث، ذلك هو الشعور الذى تشعر به فى تلك اللحظة. المال ... ليس مشكلة ... أب ينفق على ابنته التى أنجبها سفاحاً ببذخ، كل ما تريده تستطيع أن تحصل عليه. هى لا تطلب عادة، وهو لا يجد الوقت للعطاء. يعطى ببذخ بالمصادفة ... هى لا

fb/mashro3pdf

ترغب فى الطلب وهو لا يتوانى عن العطاء ... هى تحتاج إليه من أعماقها وهو لا ينتبه إليها. أسفار، عمل، صفقات، غربة، وهى تعيش فى وحدة وملل وتيه ووجود أقرب إلى العدم.

كادت تصطدم بالسيارة التى أمامها. توقفت وهى تكاد تلامسها، انتبهت من دوامات الأفكار التى تبتلعها. شعرت باحتياج شديد إلى صدر أم . أى أم. هل هى عزيزة ... أمها؟ ... هلى هى عمتها سعاد التى رعتها وأحبتها فى طفولتها؟ ... من بالضبط؟ ... أتكون جدتها الست فتحية؟ ... الراهبة روزمارى بمدرسة «الميرديو» ... امرأة ما ... غير محددة الملامح ... فقط أم ... وما هى الأمومة؟ ... الإنجاب ... التربية؟ ... الرعاية؟ ... الحب؟ ... الدفء؟... المعاشرة ... الملاذ؟ .. الجذور؟ .. ترقرقت دمعة خجلى من مقلتيها وأخذت تتسلل إلى صفحة وجهها الحزين، سرعان ما تلاها فيض منهمر من الدموع الصامتة التى ما لبثت أن تحولت إلى صرخات أليمة ملتاعة.

(١٧٢)

استدعى سعيد بك فاتن إلى مكتبه. قدم إليها المهندس كريم سرى، صاحب شركة كريمكو عبر البحار للاستيراد والتوكيلات التجارية. نهض المهندس كريم وصافحها بأدب جم. شاب وسيم يميل إلى الطول، قمحى اللون وذو شعر غزير فاحم السواد. ذكرها بأبطال الأفلام الهندية. أميتاب باتشان. نعم، هو يشبهه إلى حد كبير. جلست قبالته وتوجهت بأنظارها إلى سعيد بك. بادرها سعيد بك قائلا:

– الباشمهندس كريم له شحنة من أمريكا عن طريق مارسيليا. أربعة كونتينرات متأخرة. شحنت منذ شهرين من ميناء نيويورك.

طمأنته فاتن قائلة:

– سأرسل تلكس للاستعلام عنها فوراً.

علق سعيد بك مؤكداً:

fb/mashro3pdf

– أرجو الاهتمام بالموضوع. الباشمهندس كريم عميل قديم.

نهضت فاتن على الفور ودعت المهندس كريم إلى مكتبها. أخذت بيانات الشحنة منه واطلعت على ملفاتها ثم قامت بإرسال تلكس للاستفسار. أثناء انهماكها فى تحضير التلكس، انتبهت للمهندس كريم وهو يرمقها بنظرة باسمة. راعتها جاذبيته ورجولته التى تشع من ملامحه ومظهره. ترك لها الكارت الخاص به. وعدته بالاتصال بمجرد استلامها للرد. نهض مستأذناً فى الانصراف وصافحها بحرارة. رافقته إلى خارج الغرفة فى ود ملحوظ.

(١٧٣)

اتصلت سعاد بفاتن لتطمئن عليها ودعتها إلى الغداء بنادى اليخت يوم الأحد. اعتادت سعاد وصديقاتها الالتقاء أيام الأحد بنادى اليخت للغداء معاً، نظراً لأنه يوم إجازة نادية من البوتيك.

اجتمع شمل الجميع، سعاد وصلاح بك، هيام ويسرى بك الشيمى، نادية وفاتن. دار الحديث بين صلاح بك ويسرى بك عن الاحتمالات الممتازة للاستثمار السياحى فى سيناء بعد استعادتها بالكامل. اتفقا على القيام بزيارة إلى شرم الشيخ وخليج العقبة لتفقد المنطقة ودراسة إمكانياتها.

انخرطت السيدات فى حديث جانبى عن آخر خطوط الأزياء. اتفقت فاتن مع نادية على المرور عليها بالبوتيك لاحتياجها لبعض الملابس التى تناسب العمل. أبلغتها نادية أن شحنة جديدة قد وصلت لتوها من باريس فتواعدن جميعاً على اللقاء بالبوتيك مساء اليوم التالى.

(١٧٤)

تتابعت الاتصالات بين المهندس كريم وفاتن لمتابعة وصول الشحنة المتأخرة. بذلت فاتن جهداً دءوباً للإسراع بشحنها من مارسيليا إلى الإسكندرية. وصلت الشحنة بعد

fb/mashro3pdf

أقل من ثلاثة أسابيع. مر المهندس كريم على فاتن بالمكتب ليشكرها على مجهودها فى متابعة الشحنة واستعجال وصولها إلى الإسكندرية. سألها بغتة إن كانت تقبل دعوته على العشاء تحية لها على مجهودها واهتمامها، قبلت فاتن الدعوة وهى فى غاية السعادة. اتفقا على اللقاء مساء بمطعم سانتا لوتشيا بشارع صفية زغلول. قبل الموعد كان كريم يجلس على الطاولة بالمطعم الراقى منتظراً حضور فاتن.

فى تمام التاسعة، انفرج باب المطعم وهلت فاتن فى تاير أحمر بديع وقد صففت شعرها كتاج على رأسها، مفسحاً المكان ليتألق جيدها الرشيق فوق صدر ناصع تزينه قلادة ماسية.

(١٧٥)

اختارت فاتن أن تطلب سمكاً مشوياً للعشاء. هى من عشاق أكل السمك. استحسن كريم الاقتراح وطلب زجاجة من النبيذ الأبيض الفرنسى.

دار حديث ودى عام بينهما ثم مالبث أن تطور إلى بعض خصوصياتهما مع مرور الوقت وانتشاء اللحظة. دعاها بعد العشاء إلى المرقص الملحق بالمطعم. على أنغام الموسيقى، ومع توغل الليل، بدأت الألفة تتوطد بينهما. نهضا للرقص عدة مرات منتشيين وتدفق الحديث دافئاً بينهما. كان كريم يتصرف معها بتهذيب وترفع أرستقراطى مما جذبها إليه بسرعة تعجبت لها. قبل نهاية السهرة، اقترح عليها أن تزوره فى ڤيلته بالعجمى لقضاء عطلتها الأسبوعية. قبلت دعوته بسرور واتفقا على اللقاء صباح الأحد بالعجمى.

(١٧٦)

اتصل مكتب فاروق بفاتن وأبلغها بأن شقة شارع سوريا جاهزة للتسليم وأنها يمكنها أن تتوجه إلى المهندس رامى بموقع العمارة لاستلام الشقة فوراً. استأذنت فاتن من سعيد بك فى الانصراف مبكرة لتسلم الشقة. توجهت إلى عنوان العمارة بشارع

fb/mashro3pdf

سوريا بحى رشدى وسألت عن المهندس رامى. قادها الغفير إلى مكتب المهندس بالدور الأول، قدمت نفسها إليه فرحب بها بحرارة وقادها إلى شقتها بالدور الثالث. دخلا إلى مدخل الشقة الذى يقود إلى غرفة استقبال فسيحة. مرا معا على بقية الشقة التى تتكون من ثلاث غرف للنوم ومطبخ رحب وثلاث حمامات بالإضافة إلى غرفة الاستقبال. غرفة النوم الرئيسية لها حمام خاص فاخر.

انشرح صدر فاتن للشقة وشكرت المهندس بعد أن تسلمت مفتاح الشقة منه. اتصل بها مكتب والدها فى اليوم التالى ليطمئن على استلامها للشقة وأبلغها أن عقد الشقة جاهز بمقر الشركة وتستطيع استلامه عن حضورها للقاهرة. أفادها الموظف أن تعليمات فاروق بك أن يقوم المكتب بالاتصال بمهندس الديكور لتأثيث الشقة. شكرته فاتن وأبلغته بأنها ستقوم باختيار أثاث الشقة بنفسها وستبلغهم بالتكاليف المطلوبة.

(١٧٧)

صباح الأحد. يوم مشرق من أيام شهر يوليو. الجو صحو ونسمة خفيفة تداعب الصباح. توجهت فاتن إلى ڤيلا كريم سرى بالعجمى. اهتدت إلى عنوان الڤيلا دون صعوبة. قادها حارس الڤيلا عبر الحديقة الأنيقة إلى الداخل. فتح الخادم باب الڤيلا الزجاجى الفخم ورحب بها بحرارة. كان من الواضح أنه قد تلقى تعليمات بحضور زائر هام. تبعته عبر الصالة الواسعة إلى الشرفة التى تطل على حمام السباحة. شرفة فسيحة ترتفع قليلاً عن حمام السباحة الخاص بالڤيلا، فى أحد جوانبها بار من الرخام الأبيض وحوله عدة كراسى من الرخام أيضاً. فخامة بادية ومزاج عال. دعاها الخادم للجلوس انتظارا لمقدم كريم بك. طاقم من كراسى البامبو البيضاء أيضا يتحلق حول طاولة صغيرة. جلست وهى منبهرة بالمكان وهدوئه. دقائق معدودات ودخل كريم مرتديا لباس استحمام ابيض وتوجه إليها مرحباً وهو يقول:

– أرجو ألا تكونى قد نسيتِ المايوه.

أجابته ضاحكة:

fb/mashro3pdf

– إنه معى دائماً بالسيارة.

– إذن لا تضيعى الوقت. فلتذهبى لارتداء المايوه وسأجهز أنا مشروباً لك. ماذا تفضلين؟

– فودكا تونيك.

قامت فاتن متوجهة إلى سيارتها لإحضار حقيبة ملابسها. عادت فقادها كريم إلى غرفة داخل الڤيلا لاستبدال ملابسها.

(١٧٨)

أعد كريم المشروبات وأخذها إلى حمام السباحة. درجتان فقط تفصلان الشرفة عن حمام السباحة. استلقى على أحد الأسرة فى انتظار قدوم فاتن.

ظهرت فاتن فى رداء استحمامها الساخن. مايوه بكينى أصفر لامع لا يستر كثيرا من جسدها الرشيق. تناولت مشروبها وجلست على السرير المقابل. أثنت على جمال الڤيلا والحديقة فشكرها وتواصل الحديث بينهما. استرقت فاتن النظر إلى الشعر الأسود الفاحم الكثيف الذى يغطى صدر كريم. دعاها إلى الاستحمام ونزلا إلى الماء معاً.

عندما حان موعد الغداء، جهز الخدم والسفرجى ركنا للشواء فى جانب الحديقة وأخذوا فى إشعال الفحم وشواء اللحم. بعد إتمام الغداء، أزال الخدم الفحم والأطباق وقاموا بتنظيف المكان ثم انصرفوا سريعاً من منطقة الحمام. عندما بدأت الشمس فى الانكسار، كانت الخمر قد أدت فعلها الخالد على مر الأزمان. انزاح الخجل النسبى وحلت محله الجرأة والإقدام.

نزلا إلى الماء لبعض الإفاقة والانتشاء. أمسك كريم بكفيها ورفعهما إلى شفتيه فى تأن واستمتاع. لثم كفيها ثم توغل إلى ساعديها فاندفعت إليه واحتضنته بقوة. تحسست ملمس شعره الكثيف على جسدها الناعم. مدت ساعدها إلى ظهرها وخلعت البكينى عن صدرها. ضغطت جسدها إلى صدره بقوة وهى تشعر بالنشوة

fb/mashro3pdf

والرغبة. قادها كريم إلى خارج الماء ثم توجه بها إلى غرفة النوم. أمضت فاتن الليلة معه ووصلت إلى الشركة متأخرة فى صباح اليوم التالى وهى تعانى من الصداع المشوب ببعض الدوار والذى عادة ما يلى الإفراط فى الشراب.

(١٧٩)

تعددت لقاءات كريم وفاتن. يتصل بها يومياً ويتواعدان على اللقاء فى المساء. سئمت فاتن سكنى محرم بك فانتقلت للإقامة معه لحين تجهيز شقتها برشدى. كريم يقيم بڤيلا برشدى أيضاً. شرعت فاتن بنشاط فى تجهيز شقتها وشاركها كريم فى اختيار الأثاث. قبل أن ينقضى الصيف كانت فاتن قد انتهت من تأثيث شقتها وانتقلت للإقامة بها مودعة شارع الإسكندرانى وحى محرم بك إلى الأبد. راقت لها الإقامة بحى رشدى بعد أن استقرت فى سكنها الجديد واعتادت عليه.

(١٨٠)

مع الانتقال إلى مسكنها الجديد برشدى، تعدد مرور فاتن على بوتيك نادية صديقة عمتها سعاد. بدأت العلاقة بينهما فى التوطد رغم فارق السن بينهما. كانت نادية قد تخطت الأربعين بقليل لكنها كانت مرحة الروح وتبدو أصغر من سنها. كانت شديدة الاعتناء بمظهرها وزينتها. ليست جميلة ولكنها ذات أنوثة جذابة. لم تتزوج بعد فشلها فى زواجها الأول. صاحبة مزاج وتميل إلى الانطلاق والبهجة. مقبلة دائما على الحياة ووجدت فى فاتن رفيقة طيبة وصحبة محببة. أقبلت فاتن على نادية لإحساسها بالافتقار إلى صديقة حميمة. مشكلتها دائما أنها لم تعش صداقة حميمة. شعرت فى كنفها بالراحة والألفة وأحيانا بالحنان. اعتادت أن تمر عليها بالبوتيك عندما يكون كريم مشغولا، تنتظرها حتى موعد إغلاق البوتيك ثم تنطلقان معا لزيارة إحدى صديقات نادية المتعددات أو تذهبان إلى مطعم «الأوپريفيه» للعشاء وقضاء السهرة. تطلبان العشاء على البار وتقضيان الليلة فى دردشة عامة

fb/mashro3pdf

وحكايا عابرة. كانت نادية تفرط فى الشراب. بدأت فاتن أيضا فى الإفراط فى الشراب والتدخين. بمرور الوقت قلت لقاءاتها مع كريم وتعددت مرات مصاحبتها لنادية فى سهراتها.

(١٨١)

بانتقال فاتن إلى رشدى ورحيلها عن شارع الإسكندرانى، انقطعت صلتها بأمجد. كانت العلاقة تفتر بانتظام نظراً لطول فترات غيابه فى السويس. لم تره منذ شهور عندما جاء فى إجازة قصيرة. ذهبت معه إلى شقة صديقه سامح بلوران مجاملة له ودون أدنى رغبة حقيقية منها. قضت معه الليلة فى فتور وودعته صباح اليوم التالى. لا يأتى ذكره فى أحاديثها مع نادية كما لو كانت قد نسيته، رغم أنها تحكى لها عن علاقتها بالدكتور رامز الذى تباعدت مرات لقائهما معاً.

لم تعد تراه كل أسبوع كما اعتادت من قبل. منذ أن تعرفت على كريم وهى تعتذر عن لقائه كثيراً متحججة بحجج شتى. عندما تخجل من تكرار اعتذاراتها تذهب إليه بمنزله بجليم حتى لا تجرح شعوره. كانت تكن له شعوراً خاصاً بالمودة وتشعر تجاهه بقدر من الانتماء. كانت تأنس إليه عندما تكون معه وتشعر بدفء حنانه وعذوبة رقته. انقطعت عن رؤيته بعد خطبته للدكتورة عبلة صدقى زميلته بالكلية وزواجه منها.

(١٨٢)

اقترح كريم على فاتن أن يذهبا معاً إلى القاهرة فى عطلة نهاية الأسبوع. حجز غرفة بفندق ماريوت بالزمالك وتوجها إلى القاهرة فى سيارته المرسيدس السوداء بعد ظهر السبت. وصلا فى المساء وتوجها إلى الماريوت. استراحا قليلاً بالغرفة ثم استبدلا ملابسهما وخرجا لقضاء السهرة بالملهى الليلى بالفندق. كان الوقت مبكراً فتوجها إلى البار الذى أمضيا فيه بعض الوقت ثم توجها بعد ذلك إلى الملهى الليلى. أمضيا

fb/mashro3pdf

السهرة حتى ساعة متأخرة من الليل.

استيقظا فى اليوم التالى بعد أن تجاوزت الساعة منتصف النهار. طلبا الإفطار بالغرفة واستعدت فاتن سريعاً للذهاب إلى شبرا للزيارة. اتفقا على اللقاء بالفندق فى الساعة السادسة مساء للعودة إلى الإسكندرية.

(١٨٣)

مرت فاتن على جدتها بجزيرة بدران أولاً. فتحت لها سعدية الشغالة التى أحضرتها سعاد لترعى أمها بعد أن ازدادت متاعبها من الروماتيزم وأصبحت حالتها الصحية تحتاج إلى الرعاية بعد إصابتها بمرض السكر وارتفاع ضغط الدم. دخلت إلى جدتها بغرفة القعاد فوجدت معها الست أم فايز جارتها والتى لا تفارقها معظم الوقت. نهضت الست فتحية بصعوبة من جلستها واحتضنت فاتن مرحبة بمقدمها. حيت فاتن الست أم فايز وجلسن جميعاً يتبادلن الحديث عن أحوال فاتن بالإسكندرية وعن صحة الست فتحية. نادت على سعدية لتحضير الغداء الذى شاركتهم فيه الست أم فايز.

استأذنت فاتن جدتها بعد الغداء فى الانصراف للمرور على والدتها بالترعة البولاقية قبل العودة إلى الإسكندرية.

رحبت عزيزة بفاتن واحتضنتها بشوق وحرارة عندما فتحت باب الشقة ووجدتها أمامها. قادتها إلى غرفة جدها توفيق الذى انتقل للإقامة مع عزيزة ومسعد بعد وفاة الست زينب والدة مسعد. كانت الحالة الصحية للأسطى توفيق قد تدهورت كثيراً فى السنوات الأخيرة. أصيب بمرض القلب بعد الجلطة التى أصيب بها وشفى منها بصعوبة. أمضى ثلاثة أسابيع بالعناية المركزة بالقصر العينى قبل أن يجتاز مرحلة الخطر.

علمت فاتن من والدتها أن علياً أخاها قد رزق بولد أسماه صدام وأنه يعمل ميكانيكيا بالجيش العراقى . بكت عزيزة وهى تحكى لفاتن عن أخيها على وعن مخاوفها عليه من الحرب الدائرة هناك بين العراق وإيران.

fb/mashro3pdf

دخلت ليلى من الكلية ففوجئت بوجود فاتن. ألقت بحقيبتها على الطاولة واندفعت إليها. احتضنتها وقبلتها بسعادة بادية وجلست ملاصقة لها. بادرتها فاتن متسائلة:

– ما أخبار الأفوكاتو العظيم.

– نجحت بتقدير جيد.

– ألف مبروك يا ليلى ... براڤو.

لم تحضر فاتن إلى القاهرة منذ مدة طويلة، أخرجت من حقيبتها مائة جنيه وأعطتها إلى ليلى وهى تقول:

– هذه هدية نجاحك.

شكرتها ليلى وهى من السعادة فى غاية بهذا المبلغ الكبير.

علمت فاتن أن ماجدة تعمل بمشغل مدام چورچيت التى تحبها كثيرا وتهتم بتعليمها حتى أصبحت الذراع الأيمن لها. أحبت ماجدة مهنة التفصيل فتقدمت فى تعلمها بسرعة واستقرت بمشغل مدام چورچيت بعد تنقلها بين عدد من مصانع ومشاغل تفصيل الملابس. ودعت فاتن عزيزة وماجدة وقبلت جدها الأسطى توفيق ثم غادرت متوجهة إلى الفندق للقاء كريم والعودة إلى الإسكندرية.

(١٨٤)

بدأت فاتن تشعر بالملل من عملها. العمل روتينى ولا جدة فيه. فقدت الحماس وكرهت الالتزام بمواعيد العمل. بدأت تشعر أنها فى مدرسة «مير دو ديو» من نوع مختلف. ما يناسبها هو حياة منطلقة تشبه حياتها بالجامعة وليس حياة مدارس الراهبات برتابتها الخانقة. لا تريد أن تذهب فى نفس الموعد كل صباح. لا تريد أن تمضى النهار بالشركة كل يوم. لا تريد أن تكون ملتزمة بالذهاب إلى العمل فى أيام العمل والانقطاع عن الذهاب فى الإجازات. بدأ هذا الشعور وتنامى سريعاً حتى فاق قدرتها على الاحتمال. فاتحت نادية فى شعورها هذا. تفهمت نادية تبرُّم فاتن لأن لها نفس

fb/mashro3pdf

الطبيعة المتمردة. لا يناسبها إلا العمل الحر. لا تستطيع الارتباط بنظام ثابت وضعه لها الآخرون. لا تحتمل الرتابة والانتظام الدقيق الدائم. تريد أن تحيا حياة متجددة متنوّعة يشوبها بعض من الفوضى والتلقائية.

اقترحت عليها نادية أن تفكر فى مشروع خاص، بمساعدة أبيها. رفضت فاتن بحزم. هى لا تريد اللجوء لأبيها تحت أى ظرف من الظروف. تريد أن تفكر فى مشروع لا يحتاج إلى رأسمال كبير يمكنها أن تبدأه بمدخراتها القليلة. تستطيع أن تبيع مجوهراتها التى أهداها إليها والدها ببذخ فى المناسبات القليلة التى تذكرها فيها. فكرت أيضا فى بيع شقة القاهرة. هى ملك لها وتستطيع التصرف فيها دون الرجوع إليه.

أبدت نادية استعدادها لمشاركتها فى المشروع الذى ستستقر عليه. أخذتا تقلبان الأمر معا إلى أن اهْتَدتَا إلى فكرة العمل فى مجال الأزياء. يبدآن معاً مشروعاً صغيراً لتصنيع الملابس الحريمى طبقا لآخر خطوط الموضة. هما لا تحتاجان إلى عدد كبير من الماكينات فى البداية. ليكن عدداً محدوداً ثم يتوسعان مع نجاح المشروع واتساع نشاطه. نادية تسافر إلى الخارج لشراء أحدث الموديلات التى يمكن أن تقوما بتقليدها فى البداية وحتى يكتسبا خبرة التصميم والتصنيع. تنتجان هذه الموديلات، وتقومان بتوزيعها على البوتيكات الصغيرة المنتشرة بالقاهرة والإسكندرية.

درستا الفكرة جيدا وقامتا بزيارة عدد من أتيليهات التفصيل، بل بدأت نادية فى التعامل معهم بالفعل وشراء بعض إنتاجهم لعرضه بمحلها. لاحظتا أيضاً أن كتالوجات الأزياء الأجنبية متوفرة بالأسواق وتستطيعان بسهولة الاستعانة بها والاطلاع على أحدث خطوط الموضة فى العالم أولاً بأول.

(١٨٥)

بدأت فاتن ونادية فى تنفيذ مشروعهما على الفور. وجدتا أنهما تستطيعان بداية المشروع بعدد محدود من الماكينات وبعض اللوازم البسيطة الأخرى وبحساب تكلفة

fb/mashro3pdf

المشروع المبدئية، توصلتا إلى أنها لن تزيد عن ثلاثين ألف جنيه فى جميع الأحوال، وبذلك يكون نصيب كل منهما خمسة عشر ألف جنيه، وهو مبلغ تستطيع فاتن تدبيره دون اللجوء إلى والدها أو بيع شقة القاهرة.

شرعتا فى البحث عن شقة مفروشة تكون مقرا للمشروع. وفقتا فى الحصول على شقة بسيدى بشر واتفقتا على الذهاب إلى القاهرة لشراء الماكينات.

تحدثت فاتن مع سعيد بك عن مشروعها الجديد ورغبتها فى الاستقالة. أسف سعيد بك لتركها الشركة، لكنه تمنى لها النجاح فى مشروعها الجديد. استسمحها فى أن تعطيه مهلة قصيرة لتعيين بديلة لها. عرض عليها أن تغادر العمل مبكراً إذا شاءت للتحضير لمشروعها. وافقت فاتن على الفور على البقاء بالشركة حتى توفق الشركة فى تعيين بديل لها.

(١٨٦)

بلغ فاتن نبأ وفاة جدها الأسطى توفيق. حزنت فاتن لوفاته حزناً عميقاً. كان رجلاً عطوفاً مفعماً بالطيبة كنسمة رقيقة. استقلت سيارتها إلى القاهرة وتوجهت إلى الترعة البولاقية. وصلت بعد أن تم دفنه. كانت عزيزة منهارة وفى حالة سيئة من الحزن والإعياء. نشأت معه بعد وفاة والدتها فكان هو كل حياتها. تزوجت ثم طلقت وعادت إليه ملاذا آمنا هى وطفلاها. أخطأت مع فاروق فكان لها الحماية والتسامح والأمان. كان فقدها له خسارة فادحة زلزلت كيانها. انفجرت فى عويل مرير عندما رأت فاتن. تشبثت بها وهى تولول وتبكى بكاء مراً، بكت فاتن أيضاً بحرارة لفقد جدها الطيب ولوعة أمها المسكينة. قضت الليلة معها ونامت بجوارها. راحت فى نعاس متقطع وهى تحتضن أمها وتربت عليها كلما انتبهت من غفوتها. قضت فاتن نهار اليوم التالى مع عزيزة ثم ودعتهم عائدة إلى الإسكندرية لارتباطات عملها.

fb/mashro3pdf

(١٨٧)

اندمجت فاتن فى مشروعها الجديد بالتعاون مع نادية. استطاعا أن يتغلبا على العقبات التى عادة ما تواجه البدايات. مر عليهما العديد من العمال والفنيين حتى استقرتا أخيراً على مجموعة متميزة من العمال والمساعدين. راق لفاتن العمل فى مجال الأزياء، أخذت فى متابعة كتالوجات الأزياء العالمية وملاحقة آخر خطوطها. استطاعت بذكائها أن تجمع الخيوط فى يديها وأن تتقدم فى اختياراتها وإنتاجها بمعاونة نادية. بدأتا فى عرض إنتاجهما على العملاء الذين استحسنوا جودته وأذواقه الراقية. أصبح لديهم العديد من العملاء المنتشرين بأحياء الإسكندرية الراقية.

قررت فاتن مد نشاطهم إلى القاهرة بعد أن استقر سوق الإسكندرية لهم. سافرت إلى القاهرة واتصلت بالعديد من البوتيكات الشهيرة. لاقى إنتاجها الاستحسان ونجحت فى الاتفاق مع الكثيرين منهم.

(١٨٨)

مر أكثر من عام دون أن تسمع فاتن شيئاً عن أبيها. لم يحضر إلى الإسكندرية. لم يتصل بها تليفونياً للاطمئنان عليها. شعرت بأسى عميق وثورة حزينة. لم تستمتع بأبوته طيلة حياتها. اعتقدت باستقراره فى مصر بعد عودته من ليبيا، أن الأمور ستتغير إلى الأفضل. لم تجد تغيرا يذكر بين إقامته فى الخارج وعودته إلى مصر. هو لا يخل عليها عند أى مطلب مادى لها. لكنها تحتاجه هو، تتحرق شوقاً إلى الارتواء من أبوته وحنانه. تشتاق إليه .. تتمنى أن يصطحبها معه إلى السينما ... إلى حديقة الحيوان ... أن يحتفل بعيد ميلادها. أن يدعو زميلاتها ويستقبلهم... تريد أن تفتخر به ... أن تشعر بالانتماء إليه ... أن تشكو له وأن يستمع إليها ... تريد أن تسند رأسها إلى صدره وتبكى أحزانها ... لا تريد أن تحلم به فى نومها ... لقد أدمنت الحلم ... تريد أن تراه فى يقظتها وأن تجسه بيديها. أى أب هذا؟ ... إنه ليس شريراً ... ليس قاسياً

fb/mashro3pdf

على الإطلاق ... ماذا يكون بالضبط؟ ... رجل أعمال معنى بالنجاح وجمع المال فقط! ... كم من رجال أعمال يعنون بأبنائهم ويتواجدون فى حياتهم. إنه لا يهتم بفريد وفادى. أمهم هى كل حياتهم. يعلمهم أفضل تعليم ويصرف ببذخ على كل طلباتهم ... ولكن ... هل هو رجل بلا عاطفة ... لا يبدو ذلك ... هل هو رجل بلا ذاكرة؟ .. بلا مشاعر وأحاسيس. لا يعرف كيف يحب ... مضت فاتن فى تساؤلاتها الحزينة الثائرة الرافضة، تتقاذفها أمواج الحيرة بعيداً عن شواطئ اليقين.

(١٨٩)

فتحت فاتن باب شقتها ففوجئت بفادى أخيها يقف أمامها ضاحكا. ألجمتها المفاجأة لثوان معدودات ثم احتضنته بسعادة غامرة مرحبة به. لم تكن تستطيع أن تتبين حقيقة مشاعرها. لا تستطيع أن تصدق ... أخوها يزورها لأول مرة ... سرت رعشة فى جسدها لم تستطع أن تتحكم فيها ... إن لها إخوة ... حقيقة تشعر بها للمرة الأولى ... إخوة يتذكرونها ... يجيئون لزيارتها ... هى التى تقوم دائماً بالزيارة ... هى التى تتسول الانتماء ... حتى إخوتها من أمها عزيزة ... هى التى تزورهم دائماً ... منزل أمها فى الترعة البولاقية ... منزل أبيها فى الزمالك ... هى التى تسعى إلى الجميع ... الآن ... فادى يتذكرها ويسعى إلى زيارتها. دارت كل هذه الخواطر الخاطفة فى مخيلتها وهى تحتضن فادى حضناً طويلاً ممتناً فرحا يرتوى للمرة الأولى بعد طول جفاف. دعته للدخول فلمح دمعة فى عينيها. سألها مازحاً:

– مفاجأة غير سعيدة، أليس كذلك؟

لم تجد الكلمات التى تتفوه بها فجذبته إليها ووضعت ذراعها على كتفه وهما يسيران متجاورين. قال فادى:

– أريد أن أرى شقتك.

مرت به على الشقة واستقرا أخيرا فى المطبخ. سألته فاتن:

– ماذا تشرب؟

fb/mashro3pdf

أجابها على الفور:

– فول مدمس.

انفجرت فاتن ضاحكة فأردف فادى:

– إنى يقتلنى الجوع.

أجابته فاتن:

– يمكن أن تأكل لكنك لن تجد فولاً بالمنزل.

أجابها متلهفاً:

– أقبل أى مواد غذائية.

جهزت له فاتن وجبة سريعة وجلسا معا بالمطبخ على الطاولة الصغيرة التى تفضل فاتن استعمالها دائماً فى طعامها. سألته فاتن:

– متى وصلت؟

– جئت فى رحلة مع بعض الأصدقاء. وصلنا بالأمس.

– وأين تقيم؟

– فى ڤيلا أحد الأصدقاء بالعجمى.

– هل هى إجازة طويلة؟

– سنعود غداً إلى القاهرة.

– هل ستقضى اليوم معي؟

أجابها متخابثاً:

– إذا كان البرنامج مغرياً.

– لا تقلق.

شرعت فاتن فى استبدال ملابسها وقررت أن تتفرغ لفادى طوال اليوم. أبلغت نادية تليفونياً أنها لن تذهب إلى الأتيليه وأوصتها أن تتابع العمل بدلاً منها.

fb/mashro3pdf

(١٩٠)

نزل خبر وفاة الست فتحية المفاجئة على فاتن كالصاعقة. كانت لها مكانة فريدة فى نفسها. مكانة حميمة لا شعورية. أول من تمر عليه عند نزولها للقاهرة. بيتها فى جزيرة بدران هو المأوى، قلعة الأمان والطمأنينة ... حديثها راحة للبال ... منزلها هو الحضن الدافئ ... طعامها أشهى الطعوم... لا تستطيع أن تستسلم لخاطر غيابها الدائم ... ترفض اختفاءها من حياتها. فيض من الدموع الساخنة الصامتة تدفق من عينيها بلا انقطاع.

وصلت إلى جزيرة بدران قبل موعد الدفن. اندفعت إلى غرفتها وسط ازدحام المعزين. تنام فى هدوء على فراشها بوجه عليه مسحة الرضا والصفاء. ارتمت عليها واحتضنتها وهى تبكى بكاء هستيرياً وترتجف بشدة. حاول الجميع إبعادها لكنها تشبثت بجدتها فى إصرار عنيد. ظلت على تلك الحال حتى حان موعد إعدادها للدفن وبداية مراسيم تشييع الجنازة.

(١٩١)

وقف فريد وفادى بجوار أبيهم يتلقون العزاء فى الست فتحية بجامع عمر مكرم. فريد يدرس الهندسة بالجامعة الأمريكية وفادى الآن بالثانوية العامة الإنجليزية. بعد أن انفض العزاء، طلب فادى من فريد أن يذهبا معا إلى جزيرة بدران لإحضار فاتن كى تبيت معهما فى الزمالك. استحسن فريد الاقتراح فقد كان شاباً مسئولاً إلى الدرجة التى جعلت أباه يعتمد عليه فى بعض الأمور رغم أنه لم يكمل دراسته بعد.

استقلا معا سيارة فريد البى. إم. دبليو البيضاء إلى جزيرة بدران. كانت المعزيات قد انصرفن ولم يبق بالمنزل سوى الست أم فايز جارتهم وعزيزة مع عمتهم سعاد وفاتن. كان الإعياء قد نال من الجميع. طلب فريد من فاتن وعمته سعاد أن تأتيا معهما للمبيت فى الزمالك. شكرته فاتن بحسم وقالت له إنهما ستبيتان بجزيرة بدران مع والدتها عزيزة، وإن جارتهم الست أم فايز ستبيت معهن أيضاً. ألح فريد وفادى عليهما لكن فاتن أصرت على البقاء ببيت جدتها لاستقبال المعزين فى اليوم التالى.

fb/mashro3pdf

استسلم فريد وفادى لإصرار فاتن واستأذنا فى الانصراف. جلست فاتن مع عزيزة تتسامران معاً بعد نوم سعاد. سألت فاتن والدتها:

– ألا توجد أخبار عن فاطمة؟

هزت عزيزة رأسها بالنفى وعلامات الأسى ترتسم على وجهها.

– وما أخبار علي؟

أجابتها عزيزة وابتسامة شاحبة ترتسم على شفتيها:

– رزقه الله بمحمود.

– وماذا عن ليلى، أين تعمل الآن؟

– تعمل بمكتب محامٍ كان زبوناً لمسعد.

انساب الحديث بين فاتن وعزيزة حتى غلبهما النعاس بعد إعياء اليوم.

(١٩٢)

فى نهاية اليوم الثالث لوفاة جدتها، استقلت فاتن سيارتها عائدة إلى الإسكندرية. لم يحدث تعامل أو حديث بينها وبين والدها طيلة أيام العزاء. كان فاروق مشغولاً بتقبل العزاء وكانت هى تتجنبه دائماً.

وصلت إلى الإسكندرية متأخرة وهى تشعر بإرهاق بالغ. اتصلت بنادية تليفونياً لتبلغها بحضورها ثم استبدلت ملابسها وارتمت بالفراش.

اتصل بها كريم فى اليوم التالى ودعاها إلى العشاء مساء فى محاولة للترويح عنها. التقيا فى المساء وتوجه بها كريم إلى مطعم سانتا لوتشيا. كانت كالتائهة طيلة السهرة. حاول كريم فتح موضوعات متبانية معها ليشتت انتباهها. كانت تجيبه بدون تركيز وهى تسرح بفكرها إلى مجاهل غامضة ... تشعر بالوحشة ... تشعر باللاجدوى. فى نهاية السهرة عرض عليها أن تصاحبه إلى منزله للمبيت معه. فضلت فاتن أن تعود إلى منزلها. كانت الساعة قد جاوزت الثانية صباحاً عندما طلبت منه أن يوصلها إلى منزلها برشدى.

fb/mashro3pdf

(١٩٣)

بدأ شعور فاتن باللامبالاة والرتابة يزداد باطراد. كل الأشياء لا تعنى عندها قيمة معينة ولا معنى أصيلاً، جميع الأحداث تتساوى فى نظرها، حتى البشر، لا تشعر بمشاعر محددة تجاه أغلبهم ... يزداد ذلك الشعور الفاتر بالناس وبالحياة. لا ترتاح إلى ذلك الشعور، ولكنها لا تمتلك الهمة على مقاومته والتغلب عليه. الأيام تتشابه والأماكن تتشابه والسهرات تتشابه ... حتى الرجال أصبحت لهم ملامح متقاربة. لم يعد يجذبها أحد ولم تعد تنفر من أحد. الكل سواء. لا تتصور أنها يمكن أن ترتبط برجل رباطاً دائماً ... لا تتصور نفسها زوجة أو ربة بيت ... لا تشعر بالرغبة فى الإنجاب ... لا تشعر بالرغبة فى الأمومة ... بدأت تخشى شيئا فشيئا أن تفقد أيضاً شعورها بأنوثتها.

(١٩٤)

دعتها نادية إلى قضاء السهرة بمطعم «الأوبريقية». اتصلت بكريم لتدعوه لمرافقتها لكنه اعتذر لارتباطه بدعوة على العشاء بمنزل أحد أصدقائه.

جلستا معا على البار حيث اعتادتا. كانت نادية تحتفظ دائماً بزجاجة ويسكى خاصة بها فى البار. طلبتا الزجاجة وصب لهما البارمان كأسين. أثناء انهماكهما بالحديث عن بعض شئون العمل دخل إلى البار «چون». ذلك الشاب الذى تعرفتا عليه من ترددهما المشترك على المكان. حياهما فدعتاه للانضمام إليهما. چون شاب إنجليزى فى الخامسة والثلاثين من العمر ويعمل فى مكتب إحدى الشركات الإنجليزية بالقاهرة. يعشق الإسكندرية ويقضى بها كل إجازاته. يستقل سيارته بعد ظهر الخميس متجهاً إلى الإسكندرية ويغادرها فجر الأحد عائداً إلى عمله بالقاهرة. شاب وسيم ممشوق القوام، ذو شعر أشقر غزير وعينين زرقاوين. مغرم بفندق سيسل وينزل به دائماً. كان لا يخفى إعجابه الشديد بفاتن.

انضم چون إليهما على البار. كان خفيف الظل ويجيد إلقاء النكات والقفشات الإنجليزية الطابع مما أضفى على الجو العام مرحاً بادياً.

fb/mashro3pdf

مع تقدم السهرة وتنامى النشوة، كرر چون إبداء إعجابه لفاتن التى نظرت إليه نظرة مفعمة بالدلال الأنثوى وهى تبتسم. تجرأ چون فلف يده حول خاصرتها. جذبها إليه فى رقة فاستراحت إلى حضنه. همس فى أذنها مقترحاً أن يغادرا البار معاً. أومأت فاتن برأسها موافقة على اقتراحه واستدارت إلى نادية تسر إليها بنيتها. ضحكت نادية ضحكة صاخبة وطلبت فاتورة الحساب.

أوصلت فاتن نادية إلى منزلها بسموحة أولاً ثم توجهت إلى شقتها بشارع سوريا. صعدا معا هى وچون إلى شقتها وهما يترنحان من فرط الشراب. كان چون فى غاية من السعادة وهو يستعد لقضاءِ ليلته الأولى مع فاتن. خلعت فاتن ملابسها بسرعة واندست فى الفراش. تبعها چون بعد أن خلع ملابسه. أمضت فاتن ليلة جديدة مبهرة بالنسبة إليها. أول ممارسة للحب مع رجل أجنبى. شعرت فاتن بمشاعر تكتشفها للمرة الأولى. لمس چون مواقع لم تمس من جسدها من قبل. استحوذ على مفاتيح جسدها. أعطاها الوقت والتأنى واللحظة جميعاً. أبقاها فى بؤرة الانتشاء عمرا طويلاً حتى تخيلت أنها الأبدية.

(١٩٥)

قضى چون مع فاتن عطلة نهاية الأسبوع. لم يبرحا الفراش. عندما اتصل بها كريم فى اليوم التالى لدعوتها على العشاء، اعتذرت له متعللة باحتمال سفرها إلى القاهرة فى مهمة عمل والعودة فى اليوم التالى. أمطرها كريم بوابل من القبلات فاندست فى حضن چون وداعبت جسده. أبلغته بصوت هامس أنها ستتصل به فور عودتها للاتفاق على اللقاء. اتصلت بنادية وأبلغتها أنها لن تذهب إلى الأتيليه فى ذلك اليوم. وعدتها بأن تقص عليها ما حدث بالتفصيل.

(١٩٦)

تلقت فاتن مكالمة هاتفية من فاروق يبلغها أنه فى فندق فلسطين. طلب منها أن تمر عليه فى المساء. تحججت بارتباطها بموعد عمل هام ووعدت بمحاولة المرور عليه.

fb/mashro3pdf

كانت قد اتخذت قرارا بأنها لن تذهب إليه. اتصل بها صباح اليوم التالى قبل مغادرته الإسكندرية ليعاتبها على عدم الحضور. اعتذرت له ووعدته بزيارته فى القاهرة.

(١٩٧)

انخلع قلب عزيزة عندما سمعت بنبأ اجتياح الجيش العراقى للكويت. على يعمل ميكانيكيا بالجيش العراقى وهى دائمة القلق عليه. لم تكد تهنأ بفرحتها بانتهاء الحرب العراقية الإيرانية حتى تبدأ حرب الكويت.

ازدادت مخاوفها مع أخبار الحشود العسكرية. أخذت تضرع إلى الله أن يحفظ علياً وأسرته. كان قد أرسل لها منذ أسبوع فقط يبلغها بأنه قد رزق بعزيزة.

(١٩٨)

لم تكترث فاتن لأخبار حرب الخليج التى تشغل الجميع. كانت تنزعج من شبكة أخبار السى إن إن، ذلك الوافد الجديد الذى اقتحم البيوت فجأة لينقل أخبار حرب الخليج لحظة بلحظة. تتجاهل أخبار القتال بالانشغال بمتابعة بعض أفلام الفيديو، استمرت حياتها الرتيبة بمشاعرها الفاترة. تقابل كريم فى وسط الأسبوع وتستقبل چون فى عطلة نهاية الأسبوع. تذهب إلى كريم بڤيلا العجمى أحياناً. كثيرا ما تهرب من الجميع ولا ترد على التليفون. الشيء الوحيد الذى كان تؤديه بانتظام هو الاهتمام بعملها فى الأتيليه والاندماج فيه. كان العمل يتقدم بثبات وانتظام. ازداد عدد الماكينات باطراد وتضاعف عدد العملاء بكل من القاهرة والإسكندرية.

(١٩٩)

اتصلت فاتن تليفونياً بالأستاذ بدر الدين عثمان، المدير المالى لمجموعة شركات فاروق سعد الدين بالقاهرة. طلبت منه أن يوقف إرسال المبلغ الشهرى الذى اعتاد أن يحوله لها على حسابها بالبنك الأهلى. تعللت بأنها أغلقت حسابها بالبنك وسوف تبلغه فيما بعد بالبنك الذى ستتعامل معه وبرقم حسابها الجديد. رجاها الأستاذ بدر الدين سرعة إبلاغه برقم حسابها الجديد نظرا لاهتمام فاروق بك شخصيا بمتابعة

fb/mashro3pdf

إرسال المبلغ. كانت فاتن قد قررت عدم قبول مساعدة والدها المالية نهائيا ورفض أى شيء يأتيها من طرفه. أغلقت حسابها بالبنك فعلاً تحسباً لاحتمال استعلام مكتب والدها من البنك عن وجود حسابها فيعاود تحويل المبلغ. كان قرارها قاطعا لا رجعة فيه.

(٢٠٠)

اتصل فريد بفاتن فى الإسكندرية يبلغها بنجاحه فى السنة النهائية بالجامعة الأمريكية وحصوله على بكالوريوس الهندسة بتقدير مرتفع. دعاها إلى حفل التخرج ورجاها ألا تتخلف. هنأته فاتن ووعدته بمحاولة الحضور. كانت تود أن تشارك أخاها فى احتفاله بالتخرج لكنها لا تريد أن تغامر بلقاء أبيها.

اتصلت فاتن بفريد صباح يوم الاحتفال واعتذرت له عن عدم استطاعتها الحضور متعللة بارتفاع درجة حرارتها وعدم قدرتها على السفر. سألها فريد إن كانت تريده أن يحضر إليها بعد الاحتفال فطمأنته بأنها وعكة خفيفة وأنه لا داعى لقلقه وحضوره. سعدت لاهتمام فريد وعرضه الحضور للاطمئنان عليها. شعور دافئ حميم تشعر به للمرة الأولى. أن يهتم رجل من عائلتها بها وينشغل بهمومها. أن تكون لها أهمية فى الحياة. أن يتقدم رجل تنتمى إليه لرعايتها وحمايتها فى مواجهة المقادير. مسحت دمعة تلألأت فى عينيها وهى تشعر للمرة الأولى بالانتماء.

(٢٠١)

بدأ فريد العمل بمجموعة شركات فاروق سعد الدين بمجرد التخرج. تقدم بسرعة ملحوظة فى استيعاب جوانب نشاط الشركة المختلفة. ألحقه فاروق بقسم التوكيلات التجارية فى بداية عمله. ساعدته إجادته للغة الإنجليزية فى دراسة ملفات الشركات التى يقومون بتمثيلها فى وقت وجيز، واستوعب مجالات العمل المختلفة لكل شركة. انتقل بعد ذلك إلى قطاع السياحة وراجع مشروعات الشركة المتعددة التى تم إنجازها واطلع على المشروعات التى مازالت تحت الإنشاء. اقترح على والده بعض الاقتراحات

fb/mashro3pdf

الصائبة فوضعها موضع التنفيذ على الفور. انتهى فريد بإدارة المقاولات والإنشاءات وهى أهم إدارات المؤسسة.

لم ينقض عامان إلا وقد أصبح فريد مستوعباً تماماً لكل أنشطة المؤسسة مما حدا بفاروق إلى أن يقوم بتعيينه نائبا لرئيس مجلس الإدارة وهو مطمئن تماماً لتلك الخطوة. شغل فريد المنصب باقتدار وأسهم بآرائه فى تطوير الكثير من أنشطة مجموعة شركات فاروق سعد الدين.

(٢٠٢)

اتصل فاروق بفاتن وسألها عن سبب عدم إبلاغها المدير المالى برقم حسابها الجديد حتى يتسنى له التحويل عليه. أوضحت له فاتن أن عملها قد تطور ونجح وأنها تشكره على اهتمامه بالأمر، لكنها أصبحت لا تحتاج الآن إلى المبالغ التى كان يحولها لها.

شعر فاروق بنبرة لم يرتح لها. طلب منها بحزم أن ترسل رقم الحساب فوراً. لم تقبل فاتن لهجته الآمرة وأصرت على موقفها بالرفض. احتد عليها فاروق وعنفها فانفجرت غاضبة هادرة كالبركان. هاجمته هجوماً ضارياً ألجمه عن الحديث تماما. انبعثت مشاعرها المكبوتة دهراً طويلاً كالحمم الملتهبة. اتهمته صراحة بالمادية والأنانية، لا يهتم إلا بتحويل النقود حتى يخلى ضميره من سقطاته وخطاياه، ذكرته بأمها عزيزة وما فعله بها، حاسبته للمرة الأولى على تركه لها بعيداً عنه مع عمتها، على عدد المرات التى رأته فيها طيلة حياتها. قالت له إنها كانت تحتاج إلى أب من دم ولحم وليس إلى بنك يرسل لها احتياجاتها وحسب. أخذت تصرخ صرخات هستيرية غاضبة ملتاعة وهى تكيل له كل نواقصه وهفواته التى عانت منها طويلاً فى حياتها المشتتة. أنهت مكالمتها وهى تصرخ قائلة:

– لا أريد أن أراك حتى نهاية العمر.

fb/mashro3pdf

وضعت سماعة التليفون غاضبة وهى من الاضطراب فى غاية وارتمت على الفراش وهى تنتحب فى ألم عظيم.

(٢٠٣)

كانت صدمة موجعة لفاروق للمرة الأولى فى حياته. كم من المشاكل واجهها فى حياته. كم من الصدمات امتصها واستوعبها. كم من المواقف الحرجة تجاوزها وانطلق فى مساره دون اكتراث. لماذا يشعر بوطأة تلك اللحظة. ما هو مصدر قوة تلك المخلوقة الوحيدة الضعيفة. لقد صفعته صفعة يشعر بآلامها مضاعفة. لم يتوقف من قبل ليتفكر فى مثل هذه الأمور الحياتية الروتينية. لكن ... لكنه يشعر الآن بشعور غريب عليه. يشعر بالخزى، بالنذالة ... يشعر بالأسى والندم ... للمرة الأولى ينتبه إلى البشر من حوله. ينتبه إلى مشاعرهم ... أحزانهم. سرح بفكره بعيداً فى الزمن الماضى، تذكر عزيزة والأسطى توفيق، تذكر شارع جزيرة بدران، تذكر صديقه عمار، تذكر منى وهالة. شعر بثقل كالرحى يجثم على صدره. تذكر أمه الست فتحية وتمنى أن ينام على صدرها طويلاً.

(٢٠٤)

استعان فاروق بفريد وفادى لمحاولة التدخل لتدارك الموقف بعد أن رفضت فاتن لقاءه بإصرار. حضر إليها فريد وفادى عدة مرات بالإسكندرية. حاولا تهدئتها والتوسط لديها للعفو عن والدها. اقترحا ترتيب لقاء بينهم جميعاً. لم تنجح جميع مساعيهما لإثناء فاتن عن موقفها. كان فادى يتعاطف معها ويتفهم مشاعرها تماماً على العكس من فريد الذى عاتبها على حدتها مع أبيها رغم تفهمه لدوافعها. كان فريد عقلانياً إلى درجة كبيرة بالمقارنة إلى عاطفية فادى وإنسانيته الدافقة. كان فادى بالسنة النهائية بقسم الاقتصاد بالجامعة الأمريكية. قال لها باسماً إنه سيجيء للعيش معها بالإسكندرية بمجرد تخرجه.

fb/mashro3pdf

(٢٠٥)

مرت السنوات وفاتن على موقفها الرافض لفاروق بإصرار وعناد عجيبين. لم تتوقف محاولات فريد وفادى للتوسط لتهدئة فاتن وإقناعها بأن تقبل لقاء أبيها والصفح عنه. حاول فاروق كثيراً الاتصال بها تليفونياً. كانت تضع السماعة بمجرد سماع صوته. جاء إليها مرة بالإسكندرية فتركت الإسكندرية وسافرت إلى القاهرة. تكلم فاروق مع صديقتها نادية لتتوسط بينهما فلم تفلح. فكر فى أن يتصل بعزيزة ليوسطها فى الأمر ثم تراجع. حاول جميع المحاولات الممكنة لكنه كان يتجرع الفشل فى كل مرة. لأول مرة فى حياته يشعر بالضآلة. للمرة الأولى يشعر بهمٍّ من نوع لم يعهده من قبل ... هو الذى لم يتأثر طيلة عمره بأى حدث مهما عظم ... ماذا حدث له؟ .. تغير جديد فى مشاعره. هم وكآبة يجثمان على صدره ... كيف تعامل مع مشاعر فاتن بكل ذلك الإهمال وعدم الاكتراث. اعتمد على أمها بعد مولدها ثم على سعاد فى طفولتها وشبابها وانطلق هو يجوب الأرض ويجمع الأموال. حتى فى زياراته لمصر أو للإسكندرية لم يكن يمنحها أكثر من الهدايا والنقود وبعض سويعات من وقته، ثم يواصل لهائه بعد ذلك، غير آبه بوجودها وبمشاعرها. كلما تمر الأيام، تزايد إحساسه بالندم وبالذنب.

(٢٠٦)

لاحظ الجميع شحوب فاروق وانشغاله الدائم. يغيب عمن حوله وهو موجود بينهم بجسده. فقد حماسه للعمل. اعتمد على فريد تماما فى إدارة شئون مجموع شركاته. حاول إقناع فادى بالالتحاق بالعمل معه لكنه رفض. كان يتمنى أن يكمل دراسته بالخارج. راسل مجموعة من الجامعات ونجح أخيراً فى الالتحاق بإحدى الجامعات الأمريكية للحصول على درجة الماچستير فى الاقتصاد، تمهيداً للحصول على درجة الدكتوراه. قبل سفره إلى أمريكا توجه إلى الإسكندرية لزيارة فاتن وتوديعها، أمضى معها يومين، ودعته باكية متمنية له النجاح والتوفيق.

fb/mashro3pdf

رن جرس التليفون بمنزل سعاد فى العاشرة مساء. رفع صلاح بك سماعة التليفون فوجد فريد يتصل به من القاهرة. أبلغه فريد بوفاة فاروق المفاجئة بالسكتة القلبية قبل ساعتين. وجم صلاح بك غير مصدق للخبر، فاروق لم يكمل الستين من عمره. كان فى صحة جيدة. لم يسمع أنه يشكو من أية متاعب. قدم العزاء له ووضع سماعة التليفون وهو فى حالة من الارتباك. تردد قليلا قبل أن يدخل لسعاد فى غرفة النوم ويبلغها بالخبر.

أطلقت سعاد صرخة مكتومة عند سماعها الخبر من صلاح بك. نهضت من الفراش وأخذت تذرع الغرفة جيئة وذهاباً وهى تبكى، احتضنها صلاح بك وربت عليها مواسياً. انتظر بعض الوقت لتستوعب الصدمة ثم ذكرها بأنهما لابد أن يذهبا إلى فاتن لإبلاغها بالخبر ثم يتوجهون جميعاً إلى القاهرة فوراً.

طرقا باب فاتن فى الحادية عشرة مساء. اندهشت فاتن لرؤيتهما وتعجبت لهذه الزيارة المتأخرة. دعتهما للدخول وهى تتساءل عن سبب هذه الزيارة. كانت نادية تسهر معها. رحبت نادية بسعاد وصلاح بك وهى تتوجس خيفة من هذه الزيارة المفاجئة فى ذلك الوقت المتأخر من الليل. انتهزا فرصة وجود فاتن بالداخل وأسرا إلى نادية بوفاة والد فاتن. شهقت نادية شهقة عالية وصلت إلى فاتن التى جاءت مهرولة تستفسر عما حدث. أبلغتها عمتها سعاد بوفاة والدها المفاجئة. تسمرت فاتن فى مكانها دون أن يبدو عليها أى رد فعل. تجمدت ملامحها ولم تنبس بكلمة. نبهها صلاح بك إلى ضرورة الإسراع بالتوجه إلى القاهرة.

دخلت فى هدوء إلى غرفتها. ارتدت ملابس الحداد السوداء. طلبت نادية توصيلها إلى منزلها بسموحة لترتدى ملابس الحداد أيضاً. توجهوا جميعاً إلى منزل نادية بسموحة ثم إلى القاهرة. لم تتفوه فاتن بكلمة واحدة طوال رحلة السيارة فى الظلام. وصلوا فجر اليوم التالى وتوجهوا جميعا إلى منزل فاروق بالزمالك.

fb/mashro3pdf

ترقرقت دمعة عصية فى عينيها، سرعان ما انسالت على صفحة وجهها المرهق من تداخل المشاعر المضطربة، مالبثت أن انهمرت فى فيض غزير منتحب، وهى تقف قبالة جسده المسجى أمامها على الفراش.

هما وحدهما الآن، فى الغرفة الفسيحة الخافتة الإضاءة، والتى تعبق برائحة الكولونيا، الممتزجة برائحة الموت. نعم، رائحة الموت. هو الذى ملأ الدنيا حركة ونشاطا واشتباكاً ونجاحاً وصراعاً منذ مطلع صباه، يرقد الآن فى سلام وسكينة أبدية، وقد أُحْكم إغلاق فمه برباط أبيض، يلتف حول رأسه بصرامة، جاذباً فكه الأسفل عنوة، وهى تقف أمامه، بملابسها السوداء، وأحاسيسها المشتتة المرتبكة. انفجرت فى نشيج حاد لاهث ملتاع، تلعنه ثائرة، وتلعن ماضيها الموحش، ثم ما لبثت أن ارتمت على الفراش، محتضنة إياه وقد ألقت رأسها على صدره، وراحت فى بكاء هستيرى مرير.

تحتضنه للمرة الأولى منذ سنوات عديدة، بعد أن رفضته، وقاطعته، وأعرضت عن كل محاولاته للتودد والاقتراب.

انفتح باب الغرفة بهدوء، أطل فريد أخوها من فرجة الباب، دخل بهدوء وتوجه نحوها، ربت عليها وتريث قليلاً قبل أن يبلغها بضرورة مغادرة الغرفة ومحاولة الهدوء، قبل بداية مراسيم تشييع الجنازة.

استسلمت فاتن ليد فريد الهادئة الحازمة، وتبعته إلى خارج الغرفة لترتمى على أحد الكراسى، المصفوفة على عجالة بالصالة الخارجية، لاستقبال أفراد الأسرة المقربين، والذين قدموا للمشاركة فى تشييع الجنازة.

تمت،

نعيم صبرى

القاهرة فى ١٧ ديسمبر ١٩٩٨

fb/mashro3pdf

صدر للكاتب

- يوميات طابع بريد (ديوان شعر)
- تأملات فى الأحوال (ديوان شعر)
- بئر التوتة (مسرحية شعرية موسيقية)
- الزعيم (مسرحية شعرية)
- حديث الكائنات (ديوان شعر)
- يوميات طفل قديم (سيرة طفولة)
- أمواج الخريف (رواية)

fb/mashro3pdf

بدأ شعور فاتن باللامبالاة والرتابة يزداد باطراد.
كل الأشياء لا تعني عندها قيمة معينة ولا معني أصيلاً، جميع الأحداث تتساوي في نظرها، حتي البشر، لا تشعر بمشاعر محددة تجاه أغلبهم ... يزداد ذلك الشعور الفاتر بالناس وبالحياة. لا ترتاح إلي ذلك الشعور، ولكنها لا تمتلك الهمة علي مقاومته والتغلب عليه. الأيام تتشابه والأماكن تتشابه والسهرات تتشابه ... حتي الرجال أصبحت لهم ملامح متقاربة. لم يعد يجذبها أحد ولم تعد تنفر من أحد. الكل سواء. لا تتصور أنها يمكن أن ترتبط برجل رباطاً دائماً ... لا تتصور نفسها زوجة أو ربة بيت ... لا تشعر بالرغبة في الإنجاب ... لا تشعر بالرغبة في الأمومة ... بدأت تخشي شيئا فشيئا أن تفقد أيضاً شعورها بأنوثتها.

الحضارة للنشر

fb/mashro3pdf